

أعمال تنقيب أثرية

في قلعة حمص سورية: ١٩٩٥-١٩٩٩

تعريب عن الإنكليزية:

بقلم: ج ر د. كينج G. R.D. King

د. فيصل عبد الله

أستاذ التاريخ القديم

جامعة دمشق

معهد لندن للدراسات الشرقية

والإفريقية، جامعة لندن

Thornhaugh Street, Russell Square,
London WC1H0XG

تقديم:

تقع قلعة حمص فوق أحد التلال الأثرية والمدنية في سورية، ولكن التل أهمل من الناحية الأثرية إذ شغل من الجيش حتى السنوات الأخيرة.

ويعود تاريخ التل إلى عصر البرونز الباكر، على الرغم من أن هذا البحث يركز على تحصيناته الإسلامية أولاً. لقد بُني السور الإسلامي الموجود في عصر الأيوبيين وفي عهد السلطان المملوكي بيبرس، ثم ظل بدون ترميم. وهناك نقوش كتابية تشهد على ذلك، إلا أنها فقدت جميعها، وقد بدأت بعثة سورية-بريطانية مشتركة بدراسة قلعة حمص عام ١٩٩٤، واستلزمت الدراسة ذلك توثيق بقايا السور والأبراج، في حين حالت التنقيبات فسهم توضع الطبقات الأثرية في مستويات الحجرات الدفاعية في الدور الإسلامي في العصور الوسطى.

مدخل:

تعدّ حمص من بين المدن الرئيسية في سورية الوسطى. وتقع على الطريق المتجه شمالاً من دمشق إلى حماة وحلب. وهي تمتلك طريق العبور إلى البحر الأبيض المتوسط من خلال فتحها الشهيرة نحو طرابلس من جهة الغرب، ونحو تدمر في الصحراء شرقاً، ويقع نهر العاصي قرب المدينة غرباً، وخلفه بحيرة حمص والتل الأثري القديم قادش، وهو اليوم تل النبي مند، وقد دعت قلعة حمص في الدور الإسلامي أحياناً قلعة أسامة، وكانت تقع في الجهة الجنوبية من المدينة القديمة المسورة، وباتجاه زاويتها الجنوبية الغربية، ملاصقة للباب المعروف باسم الباب المسدود، ويعتبر من أهم المواقع الأثرية في حمص. وقد كانت تحصينات القلعة تقارن بنظيراتها في قلعة حلب في العصر الوسيط على الرغم من أنها أصغر من حيث المقاييس، ولا ننسى أن تغييرات كثيرة عانت منها قلعة حمص منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى الآن وهي الآن بحالة أقل بكثير من حيث الحفظ من قلعة حلب.

إن التل الاصطناعي الذي تنتصب فوقه قلعة حمص، يتوضع فوق صخور رسوبية ملساء بارزة بحدّة، مشكّلة مصطبة مرتفعة فوق سهل نهر العاصي، ويبدو التل دائرياً تقريباً وقطره حوالي ٢٧٥م، وارتفاعه ٢٩م، بحيث يُشكّل أعلى مصطبة في حمص (شكل ١-٥). وكان ماء العاصي يملأ خندق الحصن قديماً. ولكننا نعتقد أنه كان يملأ محلياً بسبب ارتفاع القلعة، وهذا ما حدث في عام ١٩٧٠.

ولا تظهر القلعة في أيامنا بسهولة بسبب الأبنية الحديثة المرتفعة حولها. ولكنها كانت تطل على حمص في عهدها الأولى، وبخاصة عندما كانت التحصينات الإسلامية قائمة وسليمة كما ظن س. ف. فولنيه C. F. Volney في رسم له عام ١٧٨٥ (Volney 1959: 330) (شكل

تطور البحوث:

وعلى الرغم من السبر الذي قيل إنه حُفر في القلعة من زمن الانتداب الفرنسي. إلا أنه لم ينشر أي تقرير على ما يبدو. ثم شرع السيد ماجد الموصلي ثم متحف حمص بحفائر في التل في الجزء الشمالي الغربي منه عام ١٩٧٤، حيث اكتُشف خلالها تمثال أسد، وهو الآن في متحف حمص، وعُثر على نقش كتابي إغريقي يذكر أنه قُدّم من قبل مبادانوس Mayadanos إلى إله الشمس، إيلاجبلوس Elagabolos، مع الشكر. وقد صُنِعَ تقرير عن هذه الحفائر الأولية ولكنه غير منشور وهو في متحف حمص باسم، (ماجد الموصلي ١٩٧٥)، ونجيب معاذ (١٩٩٥). وقد ذُكر لي السيد نجيب معاذ مدير متحف حمص السابق في عام ١٩٩٥، في بداية عملنا أن الأرضية التي توصلت إليها التنقيبات السورية الباكرا، تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد (ق. م) وأنها سُكنت في الأتوار الحثية والآرامية اللاحقة. إن مشروع التنقيب السوري البريطاني المشترك في قلعة حمص، الذي بدأ عام ١٩٩٤، قد طلبه الدكتور سلطان محيسن المدير العام السابق للآثار ثم وضع تقرير أثري مبدئي للقلعة من البعثة السورية البريطانية في حزيران عام ١٩٩٥، (King Dunalop, Garfi and Tonghini, 1995)، وتبعه تقرير عن الشروط والعلاج، ذكراً الاحتياجات التقنية للحفاظ على القلعة وكذلك توصيات من أجل وضع برنامج تنقيب أثري (Holden 1996). وقد أجرى لاندمارك Landmark استكشافاً سطحياً فسي كانون الأول من عام ١٩٩٦، ووضع خرائط للموقع بقياس ٥٠٠/١، و ٢٥٠/١، (شكل ١)، وبأشر الفريق الأثري السوري-البريطاني المشترك بحفائر في القلعة وفي القطاعات B, C, E, G، ورافق ذلك إجراء مسح جيوفيزيائي من قبل كلية الهندسة في جامعة البعث في حمص بين ٢٧ تموز و ٢٨ آب من عام ١٩٩٧، وتابع العمل نفسه السيد فريد جبور المدير المساعد للمشروع السوري-البريطاني في العامين التاليين، وأجرى التنقيب في فتحة بئر عميقة وعمودية في مركز التل، ثم تابع العمل في موسم قصير في شهري آب وأيلول من عام ١٩٩٩، حيث كشف عن خنادق حول المنطقة J, F شمالاً و C جنوباً، واستمرت الحفائر حتى كتابة هذا التقرير في تشرين الثاني من عام ٢٠٠٠.

خلفية تاريخية:

كما سبق ورأينا، قبل شروعا بالعمل في الموقع، فقد أوحى لنا الاختبارات السورية والفرنسية غير المنشورة أن مستويات التل العميقة تعود للآلف الثالث ق.م. وقد تفحصنا عدداً من المقاطع المحفوظة والمتراصة في الشمال الغربي والجنوب الشرقي من التل، التي تصل حتى الأساس الصخري مباشرة، وكانت المستويات الأثرية الباكراة في معظم أنحاء التل محجوبة تحت زجاج إسلامي من العصر الوسيط، ولكن حيثما كانت ملقاة بعيداً، كانت تظهر المستويات الأثرية الأبر، وتم أخذ صور فسيفساء مدرجة في أقسام التل عام ١٩٩٧، وجمع الفخار من أعماق المستويات في الطبقة الصخرية في الجانب الجنوبي الشرقي في عام ١٩٩٩. وكانت تعود إلى عصر البرونز الباكر، وبذلك تشكل أقدم الدلائل على هوية التل. ولكن هذه المعلومات لا تتلاءم مع رأي ن. أليسييف N. Elisseeff (١٩٧١)، وهو أن تأسيس حمص ينسب إلى القائد الهلنستي سلوقس نيكاتور Seleukos Nikator ولم يكن (C. Ritter (1908-1855)، مقتنعاً بالربط بين سلوقس وحمص، مشيراً إلى أن أبيان Appianos (1999, II, XI, 213). قد ذكر في حوالي عام ١٢٥، ما مجموعه ستة عشرة مدينة، قيل إنها شيدت من قبل سلوقس، وهنا لم يشر إلى حمص. ومما يزيد الدهشة أن أبيان يذكر آرثوزا Arethusa (الرسن) وهي على مقربة من حمص شمالاً. وقد ربط رينيه دوسو R. Dussau بتحفظ بين حمص وسلوقس (١٩٢٧، ١٠٣): وقد كتب أميانوس مركلينوس Ammianus Marcellinus في حوالي ٣٩٠-٣٩١ م، (2000, I, XIV, 809, 69) داعياً المدينة حمص Emissa وتكلم عنها كمدينة في فينيقيا، وتعاصر صور وصيدا وبيروت ودمشق، وينسب ابن حوقل أصول حمص إلى "العمالقة" Amalakites، الذي ألمح ضمناً إلى معنى قدمها السحيق (Ibn Hawqal 1938, 117; al-Istakhri) (1967, 61).

إن الدليل الفخاري من عصر البرونز القديم (٤) (EB4)، الذي كُشف عنه في القسم الجنوبي الشرقي البادي للعيان، ويؤكد أن الاستقرار والسكن في تل حمص يعود في الواقع إلى تاريخ أبعد بكثير من العصر الهلنستي.

لقد استولى سن. بومبيوس ماجنوس Cn. Pompeius Magnus على سورية من السلوقيين المنهارين عام ٦٤ ق.م. وصارت حمص تحت الحكم الروماني، ولكن من خلال سلالة محلية سمح لها بالبقاء فيها. وقد احتفظت حمص بحكامها المحليين حتى عام ٩٦م، وكان الضريح الضخم لأحد أفراد تلك السلالة وهو سامبسجيراموس Sampsigeramos، قد شيد في عام ٧٨ ق.م. كان يقع غرب قلعة التل وبقي حتى عام ١٩١١، حيث تم تفجيره (Sergi. 1952, 204)، وكان سامبسجيراموس يفضل الإقامة في آرثوزا (الرسن) شمالي حمص، على الرغم من أن حمص صارت مكان دفنه، وقد صورَ ضريحه من قبل ل. دولاورد L. de Laborde في عام ١٨٣٨، (شكل ٦).

وعرفت حمص في ظل الحكم الروماني بـ إميسا Emisa وغدت المركز الرئيس لـ: فينيقيا لبنان Phoenicia Libanensis. وجعل دوميتيان Domitian (٨١-٩٦م)، من حمص جزءاً من الإمبراطورية الرومانية وأقام فيها سلالة حاكمة محلية. وشيد فيها داراً لسك النقود الإمبريالية في عهد أنطونيوس بيوس Antonius Pius (١٣٨-١٦١م).

وعلى الرغم مما تقدم فإن دور القلعة القائمة على التل لم يكن واضحاً في العصر الروماني وما قبله، وكان إليسيف Elisseeff، يعتقد أن المخطط العمراني لساحة حمص وكذلك القلعة في الجزء الجنوبي قد أضيفت من خلال مخطط تنظيمي في العصر الروماني. وتعرفنا على دور السكن والاستقرار الروماني فوق تل القلعة، من خلال وجود Terra Sigillata حيث كشف عنها خلال حفائرننا في المركب الرديمي.

وهناك عدد من الأعمدة الغرانيبية القرنفلية اللون المجلوبة من أسوان على ما يظن وقد توزعت حول القلعة. وينتصب أحدها وسط بركة حديثة في حديقة رسمية شيدها الجيش في القرن العشرين، وقد عُدَّت جميع هذه الأعمدة القرنفلية رومانية الأصل.

وكما هي الحال بالنسبة للمعابد السورية الكبرى فيبدو أن تلك المرتبطة بالشمس في حمص قد توسع نفوذها في عصر الرومان، وكان أليسييف قد افترض متبعاً بذلك ودنجتون Waddington أن معبد الشمس في حمص كان مقاماً في مكان جامع نوري الموجود حالياً في المدينة القديمة، على الرغم من أن كوندنر Conder يقترح أنه يجب أن يفش عنه في قمة التل (43. 1883).

على أي حال لا يوجد دليل من القلعة يدعم أو لا يدعم فرضية كوندر حتى الآن، إلا أن اسم إله حمص الرئيس إيلاجبلوس Elagabalos أي إله الجبل، (رب الجبل) قد يدعم وجهة نظر كوندر، إذ إن الجبل مرتبط بقلعة نفسها، لأنه لا يوجد في حمص أي جبل طبيعي، وأي كان موقع معبد حمص فقد ظهر منقوشاً فوق عملة المدينة الرومانية، وكان مكاناً مقدساً للقبائل المحلية قبل أن تحقق الديانة الرومانية انتشاراً واسعاً في الإمبراطورية.

لقد كان معبد حمص كثير الزينة بالذهب والفضة وكان فيه حجر أسود (بازلتي؟) مخروطي فبدا وكأنه مركز رئيس للعبادة، وقد ذكر بعض الرواة أن الحجر الأسود هذا كان مماثلاً للحجر الأسود في كعبة مكة قبل الإسلام.

ويمكن تقدير غنى حمص ومعبدها قبل الإسلام من خلال أدوات الترف المنقوشة التي عثر عليها في قمة تل حمص (Seyrig. 952. 204-250). وظهرت شهرة حمص وتقديس الشمس فيها في أرجاء الإمبراطورية الرومانية عندما يمكن أحد المتحمسين لعبادة إيلاجبلوس، إن لم يكن الكاهن الأعلى من أن يصبح إمبراطوراً رومانياً تحت اسم ماركوس أوريلوس أنطونينوس Marcus Aurelius Antoninus ، الذي نقل الحجر الأسود من حمص إلى روما بمراسم غنية المظهر ومسرفة، حيث وبالرغم من الاستنكار الشديد من كبار موظفي الدولة والجيش، استعرضه في موكب في العاصمة الإمبراطورية. وقد روى هذه الأحداث إدوارد جيبون Edward Gibbon بازدرء كبير.

وقد عارض وارفيك بول Warwick Ball، مؤخراً تقليد تبعية المعبد إلى حمص مثيراً احتمال أن طقوس معبد إيميسا Emesa، لم تُقم في حمص، بل يجب أن تتبع معابد بعلبك الضخمة (Ball 2000, 37-47). ويضيف بول أن طبوغرافية المكان ونقص المواد الأثرية في حمص يبرهن على أن بعلبك كانت مركزاً للعبادة تلك. إنها فرضية مغرية أن يكون فقدان مواد البناء في حمص مرتبطاً بمعبد ضخّم. ولكن ليس هناك أي شيء في حمص يدل على أي معبد مشهور يمكن، ولو بصورة ضئيلة مقارنته بمعبد بعلبك الضخم.

من جهة أخرى لم نتوصل حتى الآن إلى الطبقات الأثرية الرومانية في القلعة، ولكن عثرنا على ما يكفي من الفخار عام ١٩٩٧، الذي يدل على السكن في الدور الروماني للموقع، ومن

المحتمل وجود بنية رومانية تشمل أجزاء منخفضة من الجدار البرجي في الجزء المركزي من التل، التي يمكن اعتبارها رومانية أو بيزنطية بسبب وجود فخار مُصنَّع، ومظهر بنيتها العلم. كما ظهر فخار مصنع مشابه في حفرة غير نظامية جنوب القطاع (J) عام ١٩٩٨، وهي تعود إلى بناء واسع ولكنه غير مؤرخ. من ناحية ثانية لا توجد آثار معروفة أخرى يمكن أن تربط ببناء روماني حقيقي مثل المعبد!.. وإذا كان المعبد المنسوب إلى إيلاجيلوس في القلعة كما اقترح كوندر، فإنه يجب أن يصنّف فيما بعد العصر الروماني.

وإذا لم يكن المعبد في القلعة إنما في موقع جامع نوري في المدينة القديمة فإن البقايا الأثرية هناك ضئيلة هي الأخرى، وتشمل بعض التيجان الرومانية وحوض أو ناووس من البازلت موضوع الآن في صحن المسجد. وعلى الرغم من أن النتيجة التي توصلنا إليها بعيدة عن أن تكون مقررّة، فإن فرضية بول القائلة بأن معبد إيلاجيلوس هو ليس في حمص وإنما في ريف حمص، في بعلبك، هي نظرية جذابة، كما أن التنقيبات الجارية أو السابقة لم تثبت خطأها أو صحتها.

وقد انعكست أهمية حمص العسكرية كملتقى لسلسلة من الطرق الرئيسة من خلالها دورها في حملة الإمبراطور أورليانوس ضد زنوبيا ملكة تدمر وتوسع نفوذها. فقد هزم زنوبيا في حمص عام ٢٧١م، ثم استخدم المدينة كقاعدة للعمليات عندما أطلق هجومه الأخير على تدمر في السنة التالية، وقد حصل مثل هذا الاستخدام فيما يلي زمن الحروب الصليبية، عندما صارت نقطة تجمع لقوات المسلمين بقيادة نور الدين زنكي.

وغدت حمص/ إيميسا مقر الأسقفية لمقاطعة فينيقية لبيّانيزا (Phoenicia Libanesai)، بعد اعتناق الإمبراطورية المسيحية، ولعل معبد الشمس الحمصي تحول إلى كنيسة كما حصل في دمشق عندما أصبح معبد جوبيتر كنيسة في آخر القرن الرابع. وهذا يفترض بالطبع أن المعبد يقع في المدينة القديمة حيث يقع مسجد نوري الآن. ومن شأن هذه الفرضية غير الأكيدة أن توضح ما سبق وقيل سابقاً، حيث نسب المسعودي عام ٣٣٦-٣٤٥هـ/ ٩٤٧-٩٥٦م، هذه الكنيسة إلى القديسة هيلينا Helena والدة قسطنطين الأول Constantine 1، ووصفها بأنها مؤسسة فوق أربعة أعمدة (أركان كما يذكر). ولكن وصفه غير كاف لتحديد ما كانت تحمله

تلك (الأركان الأربعة) (Masoudi 1861, I, 312). وقد قيل إن رأس القديس يوحنا، قد عثر عليه قرب حمص عام ٤٥٢م وتم دفنه ثانية في كنيسة، يفترض أنها كانت تقوم فوق موقع جامع نوري الحالي -ومن المدهش أن قبر يوحنا المعمدان موجود في مسجد بني أمية الكبير بدمشق، وأن ادعاء هذا الشرف في حمص أمر مشكوك به.

ويوجد في حمص آثار مسيحية أخرى تضم مقاماً يحتوي على مدفن مزين برسوم دينية كانت موجودة في باب السباع. وهناك مجموعة من الرسوم في كنيسة مارالان (إليان Ilitân) ما تزال في مكانها.

وكانت حمص القاعدة الأخيرة لنقهيتر هرقل Heraclius، أمام العرب المسلمين في سورية عام ١٦ هـ/ ٦٣٧م، وكما كان الحال في مدينة دمشق، كذلك فقد تقاسم المسلمون موقع الكنيسة الرئيس في حمص، حيث تم بناء جامع أمامها وبقي الحال هكذا حتى القرن الخامس الهجري أي العاشر الميلادي حيث وصف كل من ابن حقول والمقدسي اقتسام الموقع من قبل الطرفين:

(Al- Istakhri 1967, 16/ Ibn Hawqal 1938, 117: Al-Maqdisi 1967, 156).

ويعرف الجامع في المدينة القديمة باسم "جامع نوري"، وقد بُني في هذا الموقع من قبل نور الدين زنكي بعد الهزة الأرضية في القرن الثاني عشر، أما الكنيسة فقد تخربت واندثرت إثر ذلك وكرس ما تبقى منها للجامع شيئاً فشيئاً.

من جهة أخرى يظل تاريخ قلعة حمص نفسها غير واضح في العهود الرومانية والبيزنطية ولا نستطيع ربطه بأية معلومات معاصرة من مواقع أخرى. كما لا توجد أية معلومات تتعلق بالقلعة في صدر الإسلام على الرغم من أن حمص ذكرت في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين. وقد توفي خالد بن الوليد فاتح حمص فيها عام ٢١ هـ/ ٦٤٢م وبني مسجد في موقع قبره خارج أسوار المدينة القديمة، ورمم عام ١٩٧٨م.

(Herzfeld 1943, 66-68: al 'ush 1963, 111 - 139; Al- 'ush 1969, 15 - 47).

وقد وصف اليعقوبي اتساع مدينة حمص عام ٢٧٨ هـ/ ٨٩١م ولكنه لم يذكر القلعة. أما الاصطخري في عام ٣٤٠ هـ/ ٩٥٠م فتحدث عن تدهور حمص بسبب هجمات البيزنطيين

في شمال سورية في أيامه. وكانت أول رواية عن القلعة من قبل أول مسلم وصلتنا من قبل الجغرافي الفلسطيني المقدسي، حيث يقول في عام ٣٧٥هـ/٩٧٥م أنها ترتفع عالياً لتطل على الأرياف المحيطة (Al-Maqdisi 1967.156). وكتب ابن جبير واصفاً قوتها منتصبـة جنوب حصص كقلعة منيعة منفصلة عن المدينة (Ibn Jubayr 1952. 267-8). وأشار ياقوت إلى حصص في عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م كمدينة مسورة وقلعتها "...المنيعة المنتصبـة فوق تل مرتفع" (Yaqut. Le Strange 1965. 334: ii). ولابد أن ياقوت أو (مصدره) قد رأى تحصينات العصور الوسطى التي بقيت أجزاء منها حتى يومنا والتي أرختها نقوش السلطان الأيوبي الملك المجاهد شيركوه الثاني في عام ٥٩٤هـ/١١٩٨م و ٥٩٩هـ/١٢٠٢م. وقد وجدت هذه الكتابات المنقوشة في البرج الثاني وفق مذكوره أليسيف وفان برشم وفاتيو عام ١٩١٤ (Van Berchem: Fatio 1914. 165: Elisséeff. EF). وانعكس اهتمام الأيوبيين بحصص مؤخرًا ببنائهم (الباب المسدود) في سور المدينة القديمة تحت القلعة مباشرة. ويؤرخ هذا في عام ٦٤١هـ/١٢٤٤م ولعل ذلك يشير إلى ترميم أو تجديد شامل لتحصينات حصص (Wiet 1941. XI. P. 151: 1952. 1. 210: note 16).

وفي عام ٦٦٩هـ/١٢٧١م بعد هزيمة قوات المغول بقيادة هولاكو، قام السلطان المملوكي بيبرس بإصلاح تحصينات قلعة حصص وجعلها مركزاً احتياطياً قوياً ضد هجمات المغول المقبلة. وقد نشر فان برشم، نقشا كتابيا وجد في الجانب الشرقي من مدخل القلعة، واعتقد أنها كانت شمال شرق البوابة، أي باب الهوى (Van Berchem 1913. Inscription. 13). ولم تلبث هذه الكتابة أن أدخلت في البناء. ويذكرها فان برشم كما يلي: "باسم الله الرحمن الرحيم، أمر بتجديد هذا الحصن المبارك في عهد مولانا السلطان الملك الظاهر، الحكيم العادل، الحارس لحصون التخوم، المستنير بالله المنتصر، ركن الدنيا والدين، أبو الفتح بيبرس، رفيق أمير المؤمنين، وهذا في يوم الثلاثاء، الخامس والعشرين من شعبان سنة ٦٦٩ (٨٠٨٠) (١٢٧١).

وهناك نقش كتابي ثانٍ ومطابق للأول في الجانب الجنوبي الغربي من برج في السور الخارجي، (Van Berchem 1913. Inscription 10. 13-14).

ولست واثقاً من مكان وجودها، ولا يوجد أي كتابة على الآثار الباقية في أيامنا. ومما يدل على أهمية حمص بالنسبة لبيبرس هو إهداؤه تابوتاً خشبياً لضريح خالد بن الوليد الموجود حالياً في متحف دمشق الوطني (Ush 1969, 15- 47; al- 1913, 111- 139).

ولم يبق من التحصينات الإسلامية الوسطى في القلعة، سوى بقايا جدران وأبراج في الجانب الشمالي من التل لا يزيد ارتفاعها عن ثلاثة أمتار، علماً أنها كانت أعلى من ذلك بكثير. وقد تلاشت أعالي السور والأبراج بالكامل في بعض الأماكن، ولكن تفحص محيط قمة التل يرينا أن البنية السفلى للسور ما تزال باقية تحت السطح. وقد أكدت حفائر البعثة الأثرية السورية البريطانية المشتركة بقاء أسس السور الدفاعي في القطاع C في جنوب التل والقطاع F و J في الجانب الشمالي.

وقد كان مدخل القلعة، في العصور الإسلامية وسط تحصينات وبوابة مقوسة في الشمال الشرقي قبالة المدينة وهذه البوابة مسدودة الآن، ولا يمكن التنقيب فيها نظامياً حتى تصبح البنية مستقرة (برج ٣ شكل ٤). إن نقطة الدخول الحالية إلى القلعة هي الآن بقايا طريق شديد الانحدار، ينعطف نحو جهة الشمال الغربي من التل قاطعاً تراكمت أثرية وبقايا تحصينات. إلا أن الطريق يبدو حديثاً في شكله الحالي، ويقترح منذر الحايك أن الطريق أو المسلك ربما يعود إلى العهد العثماني ومن ثم تحسنت عندما استخدمت القلعة من قبل الجيش الفرنسي السوري. ويضيف السيد حايك أن الغاية من الطريق كانت لتسهيل دخول المدفعية التركية، ولعله على حق خاصة وأنه من الصعب نقل المدفعية إلى أية مسافة من المدخل الملتوي من جهة الشمال الشرقي، أي باب الهوى.

وهناك ممر عمودي مدرج وملتوي لسحب الماء يقع قبالة الجهة الجنوبية من خزان مياه ضخ في الشمال من مركز التل. وكان هذا الممر موضع دراسة مفصلة عام ١٩٩٨ من قبل السيد فريد جبور، المدير المساعد للمشروع السوري البريطاني من أجل قلعة حمص. ويهبط الدرج إلى الجزء المركزي من التل إلى عمق ثلاثين متراً وهو مبني من الحجر البازلتي المقوس والمستطيل عند الجزء الأعلى من الممر العمودي حيث يبدو أنه بني في العصر الإسلامي الوسيط. وقد أعيد بناء معظم الجزء العلوي من قبل الجيش الفرنسي. أما الجزء السفلي من

الممر الأرضي فهو مبنٍ من الآجر وهو دائري الشكل ويلامس قاع التل. وربما كان هذا الآجر يعود للزمن البيزنطي أو الروماني. وقد أخبرنا السيد حايك أن نفقاً يزيد قطره على متر كان يقع إلى جنوب شرق التل عثر عليه في أثناء شق طريق منذ بضع سنوات. ولعل هذا النفق استخدم لتخزين المياه في البئر أسفل الممر. ويمكن مقارنة هذه الحالة بالبئر الكبير، الذي حفر في الصخر في قلعة القاهرة في عهد صلاح الدين في عام ٥٧٢هـ،/١١٧٦م، (al-5, ii, 204; Creswell 1969, ii, 204; Maqrizi ii, 204)، إلا أن المهندسين المعماريين في حمص في العصر الإسلامي كانوا يعثرون على كثير من الآبار من العهد الروماني أو البيزنطي كما هو الحال في مدينة حمص، كما أن أرض التل سهلة الحفر وليست قاسية مثل صخور قلعة القاهرة.

وهناك منشآت أشغال أخرى من العصر الإسلامي الوسيط منها مزلقان ضخمة تمتد من أسفل التل إلى قمته في بعض الأماكن. ويبدو أن المزلقان يشكل آخر تنظيم للتحصينات ويغطي أشكال السور المنهارة والقديمة. وهي بمعظمها من العصر الإسلامي الوسيط. كما أخفى بناء المزلقان طبقات السكن الباكراة في التل القديم، حيث لا تظهر إلا في سقوط المزلقان بعيداً في جهة الجنوب الشرقي من التل.

لقد تحول معظم أرض التل إلى حديقة، كما يوجد مساكن في جهة الشمال، ولكن هذه الأرض المحيطة كانت تشكل خندقاً مائياً، قيل إنه حفر إلى عمق ٦-٧ أمتار. طبقاً لما ذكر الكولونيل سكير Colonel Squir، الذي شاهد القلعة في عام ١٨٠٢ أن عرض الخندق ٦٠ قدماً (١٨-١٩ متر تقريباً)، (Riller 1155, 1016). كما ذكر كوندر Conder الخندق ولكنه لم يذكر أبعاده (Conder, 1883, 47). وقد كانت تجر المياه إلى الخندق من نهر العاصي، وقد ملئ بالمياه عام ١٩٧٠، ويروي السكان أنهم ركبوا فيه مراكب صغيرة. ونفترض أن الخندق ذو علاقة بتحصينات العصور الوسطى ولكنه طمس وألغى بسبب وجود الحديقة، فإن من الممكن اختبار ذلك بسهولة.

وبعد سيطرة سليم الأول العثماني على سورية في عام ١٥١٦ شكّلت حمص جزءاً من لواء طرابلس، واستخدم العثمانيون القلعة كموقع قيادة عسكرية تماماً كما فعل المماليك من قبلهم. كما سدوا "الباب المسدود" أسفل سور المدينة. وهناك عدد من الروايات عن القلعة في زمن

الأثر الك. فقد رسمها فولينه Volney عام ١٧٨٥ وأظهر التحصينات التي تخربت تماماً (شكل ٢)، (Volney 1959, 330). من ناحية ثانية وبعد قيام ثورة ضد غزو قوات القائد المصري. ابراهيم باشا بن محمد علي باشا، فقد نسفت القلعة بين ١٨٣١ و ١٨٤٠. ولم يبق من الأبنية سوى جامع عرف باسم جامع السلطان، ولكنه تلاشى بالكامل منذ ذلك الزمن. ولعل اسم "السلطان" يعود إلى السلطان بيبرس كمؤسس له، وليس إلى نور الدين زنكي أو شيركوه الثاني. ومن المحتمل أن كميات من الحجارة قد أخذت من المكان لاستخدامها في المدينة السلفية بعد تخريب ابراهيم باشا، ولكن هناك سبب يدعو للتفكير في أن القلعة قد صمدت إثر ذلك وبقي منها ارتفاعات أكثر مما هي عليه اليوم، وأن القوات الفرنسية هي التي كانت السبب النهائي في تخريب السور.

ويذكر أ. فون كرمر (A. Von Kremer) القلعة والأبواب في عام ١٨٥٣ (Von Karmer 853). وزار كوندر "Conder" القلعة خلال جولة في سورية بين عام ١٨٨١-١٨٨٢ (220-221)، وصف فان برشم Van Berchem فاتيو Fatio الموقع في عام ١٨٩٥، بالتعبير أدناه كما سجلت الكتابة النقشية المؤرخة التي أشار إليها أليسييف Elisseff في البرج الثاني (Van Berchem, Fatio, 1914, 165):

"ليس بعيداً من الباب المسدود، وقرب الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة، يرتفع تل فوقه القلعة ويبدو أنه اصطناعي، مثل بقية قلاع المدن السورية، وما تزال قلعة حمص موجودة بجزء منها حتى بداية القرن التاسع عشر على الأقل. ولم يبق سوى أجزاء من جدران، وبرج مخرب وعليه نقش كتابة عربية في الجهة الشمالية حتى عام ١٨٩٥، وتذكر الكتابة اسم السلطان الأيوبي ملك مجاهد شيركوه مؤرخة في السنة ٥٩٤هـ / ١١٩٨م.

أياً كان التخريب الذي سببه ابراهيم باشا، فإن الأمر تفاقم بسبب القوات الفرنسية استُخدمت القلعة كقاعدة عسكرية خلال فترة الانتداب، ويبدو أن البقايا التي انتشرت من السور المغطى قد تداعت في ذلك الوقت. وقد كشفت حفائرنا في قلعة حمص منذ عام ١٩٩٧، اتساع التخريب، الذي سببته القوات الفرنسية، كما قامت بتسوية أجزاء من التل بحوالي مترين من التراب وأقامت عليها ثكنة جنودها. وتعرض التل مؤخراً لمزيد من التخريب بعد إنشاء نظام

البث التلفزيوني في الجهة الشرقية، وضم إليه أرضاً من البقايا الأثرية، وبذلك وضع حد لإمكانية العثور عليها ثانية. وعندما بنى الفرنسيون خزان مياه ضخم وسط القطاع الجنوبي من التل. حالوا بصورة نهائية دون إمكانية الوصول إلى قسم كبير من الطبقات الأثرية. ولعل هذا الخزان الذي يبلغ عمقه ٧ أمتار يضم جزءاً من الخزان الأول الأيوبي أو المملوكي. فإذا كان الحال هكذا فقد أعيد تجديده وتوسيعه من قبل الفرنسيين، وأزيلت جميع آثار الأعمال الأقدم، وجمعت تحت البنية الحالية. إن الأحجار المستخدمة في بناء الخزان الفرنسي الحالي هي البازلت الأسود، وهي مثل تلك التي استخدمت في تحصين القلعة في العصور الوسطى. إن وجود البئر العميق والخزان ربما يعزز وجهة النظر القائلة إنه كان يوجد خزان قديم في التل وحواله الفرنسيون إلى خزان مياه.

وكان من نتيجة ما تقدم وتراكم بقايا الأعمال الإنشائية أن غدا واضحاً خلال موسم ١٩٩٧، أن الأمل ضعيف بالعثور على بقايا أثرية في القطاع الأوسط من التل. إن إزالة القواعد الإسمنتية تحت التكنات وإجراء التنقيب في الأساسات يستلزم جهوداً كبيرة. وفي الواقع يجب اعتبار القطاعات الأثرية المحجوبة بسبب قواعد جدران التكنات وكل ما هو محشو تحت الأبنية الفرنسية وما بعدها، أنه يضم آثاراً مهمة. إن الأعمال العائدة للتلفزيون وتلك في بقية القطاعات، كانت آثاراً تخريبية. إن بذل الجهود الأثرية بالنسبة لقلعة حمص متوقف الآن على محيط التل حيث يمكن تتبع آثار التحصينات والحجرات ثم الوصول إلى أرضيات أثرية مضمونة. هنا نستطيع أن نفهم التحصينات الإسلامية ونربطها بما سبقها.

التحصينات الإسلامية:

لا زالت توجد قواعد أبراج إسلامية شمال القلعة، ويوجد أمامها بنية قناة وبئر من بقايا الأحجار الرسوبية البيضاء المصفرة، ويتكون السطح الداخلي من أحجار سوداء أصغر وبني المزلقان من البازلت وثبتت حجارته بملاط جصي قاس.

وبصورة عامة، فإن واجهات الأبراج الخارجية بحالة جيدة في حين أن النوعية الرديئة لأحجار البنية البازلتية قد ساهمت بانهارها وهناك أمثلة عرضية من الصخور البازلتية الرديئة ويوجد عليها تزيينات. كما استخدمت للإصلاح والترميم وخاصة الصغيرة منها.

من جهة أخرى يبدو أن الصخور الكلسية البيضاء الصفراوية الهشة قليلة الكمية، أما أحجار البناء التقليدية في حمص فهي من البازلت ومصدرها من مقلع طبيعي مكشوف يقع غرب المدينة. وبالعكس فقد استورد الصخر الرسوبي من أماكن أخرى. ومن المفيد أن يتساءل المرء إذا كانت الحجارة الرسوبية قد اقتلعت من الرستن المعروفة بـ اريتوزا Arethusa، في العصر الروماني، التي تقع على مقربة من حمص شمالاً. وكان لها أسواراً رومانية كلسية رسوبية مشابهة لتلك الموجودة في قلعة حمص. ولا نرى في الرستن اليوم سوى أساسات بوابة ضخمة وبقية جدار قصير وممتد قليلاً. ولعل حجارة الجزء العلوي من أسوار اريتوزا قد نُقل واستخدم ثانية لبناء واجهات تحصينات قلعة حمص في العصر الإسلامي، لأنها كانت حجارة ضخمة مهيبة بيضاء وتناسب معظم التحصينات.

واستخدمت الأعمدة البازلتية لتدعيم الأبراج والأسوار والحدود في قلعة حمص وقد رصفت هذه الأعمدة أفقياً ولا يرى منها سوى محيطها في الطريق. ونصادف هذا الاستخدام للأعمدة في التدعيم في أسوار مدينة حمص. وقد ربط كريسويل Creswell استخدام الأعمدة المداميك بالعصر الإسلامي في مصر وسورية وغيرهما (Creswell 1952: ii. 359-360; Creswell 1940: I. 210). ويضيف إن أقدم استخدام لمثل هذه الطريقة، كانت في بناء ابن طولون لحاجز الأمواج في ميناء عكا (Acre)، في فلسطين، بين ٢٦٤هـ / ٨٧٨م، و ٢٧٠ / ٨٨٣م. بعد ذلك ظهرت الأعمدة المداميك في العمارة الفاطمية، بما فيها أسوار القاهرة التي بنيت بأمر من بدر الجمالي القائد الأرمني الذي جاء إلى مصر مع حاشية من سورية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وتصبح هذه الطريقة عامة في العمارة السورية سواء في العصر الإسلامي أم في زمن الغزو الفرنسي، وتجلت باستخدام الأعمدة لتدعيم الأسوار وتقيها من قبل الجنود أو ضد قذائف المنجنيقات.

المزلقان "أي المنحدر الاصطناعي":

لقد تطلب بناء مزلقان قلعة حمص إلقاء آلاف الأطنان من التراب فوق التل لتشكل مصطبة شديدة الانحدار. ورصفت بالحجارة السوداء البازلتية وثبتت بملاط رسوبي بثخانة مترين تقريباً. ودعمت بالأعمدة البازلتية كما ذكر أعلاه، حيث رصفت في الزوايا اليمنى في ملاط

جصي، ونرى مثال ذلك فيما تبقى منها على امتداد الجزء الأسفل الغربي من التل. وقد بقيت الحجارة البازلتية التي تغطي المزلقان بحالة جيدة، ولكن حيثما سقطت بعيداً، ينكشف مستطيل واسع من الحجارة المصفوفة بالطول على سطح المنحدر، والبارزة نحو الأعلى. ويمكن رؤيتها على طول الجزء الغربي والجنوبي من المزلقان حيث توزعت بالتساوي بين البنية التي تشكّل المنحدر، وقد أفادت هذه الحجارة الطويلة كبراشيم أو مسامير بارزة بوضوح من السطح الممهّد نسبياً والذي يحيط بالبنية البازلتية.

ما تحت مزلقان السور الدائري:

لقد بني المزلقان فوق سور دائري أو ساتر يمكن رؤيته حيث تبعثر المزلقان بعيداً أو إنه قد سرق، ويبدو أنه كانت توجد ثلاث طبقات من هذا السور الدائري الذي يطوق التل القديم، وكان مرتفعاً فوق جميع التشكيلات المركزية. التي لا يعرف تاريخها تماماً، على الرغم من أننا نعتبرها جميعها إسلامية من العصر الوسيط. ويوجد قرب التل سور دائري ناتئ طويلاً غير مرتفع قريب من أساسه. يشكّل قاعدة السور الأساسي. ويوجد بنية من الدبش الممتد المكشوف (وقد تكون كشفت بقصد السرقة)، وتقع جنوب غرب التل، ومن المحتمل أنها تشكل استمرار خط السور المستور في الأسفل.

ويبدو في أعلى التل، حيث تبعثر المزلقان سور مديد مرتفع يطوق قلعة التل، وكذلك أسوار ثانية دائرية. ويوجد جدار طويل ضخم على امتداد الجنوب انطلاقاً من الطريق الحديثة الإسمنتية المؤدية إلى القلعة. وتوجد فتحة أو مهرب عبر هذا السور الطويل. وقد بني هذا السور من صخور بناء بازلتية سوداء مربعة ومستطيلة ومقطوعة جيداً ونسبياً. ونظراً لوجود الفتحة يجب أن نفترض أن السور أقدم من المزلقان لأن وجود هذا الأخير قد سدّ الفتحة تماماً، وقد دلّ على وضعية السور المستور الوسيط آثار جزئية من قواعد برجين مبنيين من الدبش البازلتي وواجهة صخور رسوبية مستطيلة. ويظهر أحدهما من جنوب التل في حين أن الآخر مجاور للطريق الإسمنتية الحديثة المتجهة إلى قمة القلعة.

الأبراج الباقية والسور المستور:

إن البقايا الأثرية للأبراج والأسوار في قمة التل، تشكل سوراً دائرياً مركزياً هو الأكثر ارتفاعاً، والأفضل بقاءً في جهة الشمال والشرق من القلعة (شكل ٧). ولم يبقَ أي من الأبراج أو السور المستور على ارتفاعه الأصلي، بل تلاشت البنية العليا بكاملها في بعض الأماكن. برغم ذلك يمكن تتبع الامتدادات المتدرجة للسور الدائري العلوي قرب قمة المزلقان، وقد أكدت حفائر عام ١٩٩٧ و ١٩٩٩، التي استمرت حتى عام ٢٠٠٠، هذه النقطة.

وبالنتيجة فقد بقيت آثار خمسة أبراج محددة جيداً ومرتبطة بالسور الدائري العلوي. وظلت قائمة في محيط القلعة، ويقع البرج رقم ١ في أقصى الغرب فوق مصطبة إسمنتية في الجانب الشمالي الشرقي. ويقع البرج الثاني بعيداً إلى الشمال والشرق من البرج الأول، أما البرج الثالث، وهو باب الهوى فيقع إلى الشرق أيضاً، وشمال شرق التل قرب البرج الرابع وعلى مرأى منه. ويقع البرج الخامس والأخير من هذه الدفاعات في الجانب الشرقي من التل وإلى جنوب البرج الرابع.

البرجان الأول والثاني:

لقد بنيت واجهة البرج الأول من صخور رسوبية بيضاء وصفراء صنعت مكعبة الشكل (وصفناها أعلاه)، بالإضافة إلى بنية بازلتية صغيرة في الأجزاء الداخلية غير المرئية. وأضيفت بنية متأخرة عليه، ولكن بقي البرج الأصلي محدداً في المخطط. ويقع البرج الثاني شرق الأول وقد بقي منه ما يدل عليه (شكل ٧).

ويبدو واضحاً الإشارات الموضوعية من أجل التدديمات التي أجريت علم ١٩٥٢ (Elisseeff). وقد بني البرج من حجارة كلسية مشابهة بقياساتها لنظيراتها في البرج الأول. ولم يكتمل مخططها بعد، وبقي في الجهة العلوية عقدة سهم مميزة وتامة. وبقي من البناء البرجي ارتفاع ١٣ طبقة، وهو متواز مع "الباب المسدود" الوحيد الباقي المؤدي للمدينة ويقع أسفل تل القلعة جنوب سور حمص. ودعّم البرج الثاني بأعمدة بازلتية استخدمت للمرة الثانية. وما يزال هناك مزيد من البقايا المعمارية في أسفل منحدر التل قبالة البرج الثاني.

البرج الثالث (البوابة الشمالية الشرقية، باب الهوى):

يضم البرج الثالث الملحوظ في شمال شرق القلعة، البوابة المعروفة محلياً باسم "باب الهوى" وكان المدخل الوحيد للقلعة في العصور الإسلامية الوسيطة. وهذه البوابة هي التي تظهر في رسم فولينه Volney عام ١٧٨٥، (شكل ٢ و ٤). فقد كانت بناء هائلاً من حيث التصميم، وتذكرنا بالمدخل المحفوظ جيداً لقلعة حلب، وإن كانت أصغر منه بكثير. وقد بقي من بنية باب الهوى حوالي سبعة أمتار إلى جهة الشمال ولكنه يمتد شمالاً أكثر، وبني أسفل واجهة التل وأعلى النقطة الوسط من ارتفاع التل. وبني الجانب الشمالي من حجارة مماثلة للبرج الأول والثاني. أما السطح غير البارز، فهو مكون من بقايا بازلتية غير متساوية، في حين أن الوجوه الخارجية مكونة من مكعبات حجرية كلسية عريضة صفراء بيضاء. ولعل قسماً من الجزء الداخلي للبنية العلوية لباب الهوى قد ملئ بالتراب والدبش. وقد أعيد استخدام الأعمدة البازلتية وأقحمت في سور برج باب الهوى، وهي ماثلة لما سبق ذكره في سور القلعة. ويوجد قوس في أعلى البوابة، ولكنه سدّ بمعظمه. وهناك نواقص غير منتظمة مفتوحة مباشرة فوق البوابة وملئت بصفوف من الحجارة البازلتية الصغيرة والمرتبة، وتشكل عقبة في واجهة البرج: وهي تعدّ ترميماً. وهناك تصدّع ممتد حتى الأعلى من الفتحات المهشمة فوق القوس. وهذا يعكس كثيراً أو قليلاً التبدل في البناء بين صف الحجارة العريضة المكونة لنصف الارتفاع شمالاً والحجارة الصغيرة للبنية الرئيسة لنصف الجزء الجنوبي من باب الهوى، كما توجد كتل حجارة كلسية عريضة في قمة البناء مكسوة ببنية بازلتية. إن عملية جمع نوعين من مواد البناء المتعارضة في الارتفاع الرئيس لبرج البوابة يثير أسئلة مهمة حول مراحل عمارتها. ويوجد تسع مستطيلات تباعد الحجارة البازلتية المفردة فوق البوابة. ويتوقع أن يكون هذا أساس لوحة عريضة لكتابة نقش فوق القوس. وقد اعتبرنا هذا مكان الكتابة المفقودة التي تسجل التجديد المنفذ من قبل الظاهر ببيرس في شعبان ٦٦٩هـ / ١٢٧١م، والتي قال: "فإن برشم Van Berrchem"، إنه رأها على الجهة الشرقية للمدخل. وبما أن باب الهوى هو المدخل الرسمي الوحيد إلى القلعة، فيبدو أن هذه هي البوابة التي أشار إليها "برشم". ويوجد قبالة القوس المملوء لباب الهوى آثار مدخل متهاو لا يستعمل مبني من الحجر الكلسي ويتجه ممره من المدينة إلى التل.

إن جميع الآثار المعمارية التي نفترض أنها أخذت من المدينة قد تلاشت الآن. وعندما نقترّب من باب الهوى من جهة حمص ونصبح جانب الممر الملتوي، فإن انعطافاً قوياً واحداً إلى اليمين يفضي إلى المدخل المقوس في باب الهوى. وهذا المدخل والممر مطمور الآن ولكنه يستمرّ بالعمق إلى داخل التل، وهناك مدخل مقوس إلى الجنوب من الممر، وهو الآخر مسدود بالتراب. وقد شرعنا بالتنقيب في القطاع G خلال موسم ١٩٩٧، من أجل التعرف على امتداد أنظمة المرور هذه.

إن الوصول إلى الممر المتهاوي والبوابة المقوسة في باب الهوى هو الآن في غاية الصعوبة سواء كان من قمة التل أم من أسفل المدينة. وفي موسم تنقيبات عام ١٩٩٧، نظّفت بوابة البرج من الردميات لتحضيرها للتصوير. وقبل الشروع بأي تنقيبات أثرية أخرى في باب الهوى يجب تدعيم البناء.

البرج الرابع والخامس:

يقع البرج الرابع جنوب شرق باب الهوى، وهو محفوظ جيداً وبني كالبقية من الحجر الليموني العريض. كما دمجت أعمدة قديمة كدعامات. وبعد تفحص قسم من البنية وهو مفقود الآن من أعلى الواجهة، حيث يوجد فتحة رمي السهام غالباً. وجدنا غرفة داخلية مليئة بالتراب، وقد بقي من واجهة البرج ارتفاع أحد عشر صفّاً من حجارة البناء.

ويقع بروز بعيداً إلى الجنوب الشرقي، ألا وهو البرج الخامس، وهو متطابق بنائياً مع الأبراج الموصوفة أعلاه. وبقيت سبعة صفوف حجرية مرتفعة في الشمال الشرقي. ويوجد في أدنى البرج مباشرة إلى الجهة الشرقية الجنوبية، تملأ فوق منتصف الطريق الذي يحدّد منحدر التل. آثار بناء من الحجر الليموني والدشم البازلتية. ويجب أن تكون برجاً أو بروزاً منخفضاً متفق مع السور الدائري الوسيط.

السلم الزمني Chronology:

لا نستطيع أن نحدد بدقة مطلقة تاريخ بناء التحصينات، وعلى الرغم من ذلك، لا يمكن الشك في كونها بُليت في العصر الإسلامي الوسيط، فكما رأينا، يذكر المقدسي القلعة في آخر القرن

الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. ولكنه لم يقل شيئاً عن التحصينات في ذلك التاريخ. ولعل الأتابكي نور الدين محمود زنكي قد حصّن القلعة في سنوات منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. تماماً كما فعل في حلب. ولكن يجب إثبات ذلك، وكان له اهتمام كبير بحمص كنقطة انطلاق لهجماته غرباً ضد الصليبيين، وكمعبر لطموحه جنوباً باتجاه دمشق. وانعكس اهتمامه في واقع الأمر بحمص عندما بنى جامع حمص الكبير المعروف باسم جامع نوري، كما بنى مدرسة في المدينة لابن أبي أسرون / عشرون. وقد تلاشت الآن. من جهة أخرى، لا يوجد حالياً، أي وسيلة للربط بينه وبين أعمال تحصينات القلعة.

وطبقاً لما ذكره أليسييف وأريانه في البرج الثاني في الشمال حيث توجد كتابة رسمية باسم الأمير الأيوبي الملك المجاهد شيركوه مؤرخة في ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م، يبدو أن جميع الأبراج الباقية تعزى إلى شيركوه الثاني، وكذلك متانة البناء، ولكن تأريخ السور الدائري الأدنى- الوسيط غير واضح. كما لا نعلم متى بني المزلقان، ولكن يمكن الاستنتاج أن ذلك قد تمّ بعد إكمال السور الدائري.

وكما رأينا، فقد رمّم ببيرس القلعة بعد استيلائه على السلطة في عام ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م، ويؤرخ عمله بدقة في شعبان ٦٦٩/ نيسان ١٢٧١م، بفضل كتابة سُجلت حديثاً من قبل "برشم" وفاتيو، ولكن نقش ببيرس لم يبقَ في المكان طويلاً مثله مثل بقية الكتابات العربية التي ذكرها الإخباريون الأوائل. وإن تأريخ ترميم باب الهوى أمر معقد ولكنه حدث في دور من الزمن. وسبق أن بيّنا العلاقة بين سور القلعة وسور المدينة القديمة في حمص. فقد ذكر ابن جبير أسوار حمص في عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، بتعبير يمكن من خلاله نسبة التحصينات في القلعة إليها (Ibn Jubayr, 1952):

"إن أسوار المدينة هي من أقدم الآثار وأعظمها اتساعاً، وهي مبنية من الحجارة السود القاسية المصنوفة بإحكام. بوابتها الحديدية شاهقة الارتفاع، ترهب عند النظر من أعلاها، وتخيف بازدراء. وأحيطت بأسوار محلقة في الجو، جيدة التحصين".

إنه لمن المشكوك فيه إذا كانت خرائب سور المدينة القديمة التي نراها اليوم، هي نفسها التي وثقها ابن جبير، خاصة وأن الباب المسدود يحمل كتابة مؤرخة في ٦٤١هـ / ١٢٤٤م، (Wiet, 1941, xi, 151; Cres Well 1940. I. 210, note 16).

إن القطع المتبقية من سور مدينة حمص تكشف عن مميزات تنطبق على سور القلعة على الرغم من أن سور القلعة كان قوياً وأكثر ضخامة. إن الكتابة المؤرخة على الباب المسدود المسجلة من قبل فييت "Wiet" تفترض وجود إقحام في سور المدينة. وقد بني على شكل سور القلعة نفسه تماماً؛ وما يمكن قوله الآن هو إن كتابة الباب المسدود المؤرخة ترينا أن العمارة الحربية في حمص قد بقيت من اهتمامات النظام في آخر العهد الأيوبي.

تنقيبات ١٩٩٧ السورية البريطانية:

كان الهدف الرئيس من موسم حفائر عام ١٩٩٧، وهو البحث والتفحص وتأريخ آثار الدور الإسلامي. إن عدم استقرار البنية القائمة قلل من مساحة المكان الذي يجب الحفر فيه في هذا الموسم إذ إن التدعيم أمر ضروري قبل الحفر.

وقد لفت نظرنا في البدء آثار مجموعة جدران على السطح جنوب القطاع B وقد استخدم هذا الركن في العصر الحديث من قبل الجيش الفرنسي والسوري كحديقة (ثم سمينها "نادي الضباط"، على ضوء المعلومات المحلية ودورها في السابق) وعرفنا تاريخ المكان من خلال تأريخ كتب على مصطبة إسمنتية شمال الحديقة. ويوجد بركة مبطنة بالإسمنت مع أعمدة غرانيتية بنفسجية من العصر الروماني، أعيد استخدامها هنا.

وقد استحق اهتمامنا من أجل التنقيب ظهور قوس و آثار في جوار الحافة الجنوبية من القطاع C في القلعة، وكما بدا لنا عند الاطلاع الأول على المكان، وجدنا أنه نجا من اهتمام الفرنسيين زمن الانتداب وكذلك عندما استخدم التل من قبل الجيش السوري، الذي لم يبدل الإسمنت الذي يميز إعادة استخدام مثل هذه الغرف في شمال القطاع F بين البرجين ٢ و ٣ (باب الهوى). بالإضافة إلى ذلك، كان هدف حفائنا إثبات أن القوات الفرنسية قد ألحقت مزيداً من التخريب في القطاع C.

ثم قمنا بسير في القطاع D وسط التل لمعرفة اتساع الجزء المركزي من القلعة ومدى انضوائه على بنية قديمة، أو أنها تلاشت جميعها بفعل البناء الحديث خلال استخدامه من قبل القوات الفرنسية ثم السورية. وقامت جامعة البعث في حمص بمسح لدراسة وتحديد مكان ومقاومة البنية التحتية واستعنا بأدوات من الجيش السوري لعرض البنية التي دلت عليها أعمال المسح والمقاومة.

ونظفنا القطاع F في جهة الشمال، وظهر مجموعة من الأقبية تشبه الغرف منتشرة على محيط القلعة وقد سلحت بالإسمنت بعد تحويلها إلى مراحيض من قبل الجيش الفرنسي أو السوري، ولكنها كانت في الأصل غرفاً شبيهة للغرفة رقم ١ في القطاع C في جنوب القلعة.

وقمنا بحفر خندق في القطاع G غرب باب الهوى مباشرة وذلك بقصد التعرف على البنية داخل القلعة، التي يمكن أن تربط بالمرمات التي يجب أن تؤدي إلى داخل القلعة من بوابة الطريق الخارجي. وكانت جميع أعمال الحفر في الجانب الشمالي ذات طبيعة محدودة بسبب عدم ثبات السور والأبراج المجاورة. وكانت هذه هي الحال بالنسبة للبنية المرتبطة بباب الهوى.

١- القطاع B:

لقد صار واضحاً أن القطاع B مضطرب وغير ثابت ولا توجد آثار في المستويات الأولى ولا لوازم تجهيزات في عمق مناسب خلال عملنا في هذا الموسم.

وقد أثبتت الحفائر في ردميات بعمق ١,٢٠م، في حديقة الضباط أنه توجد انقطاعات واضطراب بسبب حفر الدشم الحديثة والمتعددة، وقد وجد تحتها طبقة متجانسة من الفخار المرمي الذي أنتج في الدور المملوكي. من جهة أخرى يجب إعداد دراسات منتقاة لتقدير سلم زمني يمثل ما تقدم، وكان هذا المرمي الفخاري يغطي جداراً حجرياً وركاماً ربط معه، ويقع إلى شمال الخندق. ولم يبق من الجدار سوى صفيين وبعرض أقل من ٣٠ سم. وعثرنا قرب الجدار على كسرة حجر بازلتي وجزء من طاحون ومدق.

٢- القطاع C الغرفة ١:

لقد فتحنا خندقاً في القطاع C جنوب محيط القلعة لتوضيح طبيعة القوس الذي كان بارزاً من الأرضية، وكان له الأفضلية في التنقيب. وكان مجاوراً لقطع متبقية من الجدار المستور. وثبت أن هناك غرفة محفوظة جيداً نشير إليها بالغرفة رقم ١ (شكل ٨). وكان لها ممر أرضي يقود إلى الأسفل خلال قوس في جدارها الشرقي. وكان واضحاً وجود غرفة مجاورة إلى جهة الغرب ولكن لم تنقب في موسم عام ١٩٩٧.

وبعد نقل أكثر من متر من الردم ظهرت حجارة البناء الليمونية، وكشف عن بنية معقدة داخل الغرفة. ووجد عُقب جصي مقوس ناتئ جانب وجه الجدار المستور ويتعلق هذا بالمستوى الأول، وكان انحناؤه موازياً للشمال والجنوب، ويتجه بعكس اتجاه قوس الغرفة ويظهر بعد التبدل إلى المستوى التالي. وقد أقحم قوس جديد في هذا المستوى الأخير ولكنه مواز لخط الشرق/غرب. وقد تخرب القوس الأول وسقط إلى مستوى بروزه خلال بناء هذا القوس الأخير، هذا ولا نستطيع تأريخ أي مستوى منفرد في الوقت الحاضر انطلاقاً من ملاحظة سلسلة نتائج واقع البناء.

٣- القطاع D:

لقد تركزت دراسة المقاومة الجيوفيزيائية في البداية في القطاع D في الجزء المتوسط من التل وقد أدار هذا العمل جامعة البعث في حمص كأول تجربة في مجال الدراسة الأثرية. واستمرت الدراسة حتى عام ١٩٩٨، ونحن مدينون إلى الدكتور عبد الماجد شيخ حسين رئيس جامعة البعث الأسبق لتسهيل عمل الدراسة الجيوفيزيائية من قبل الجامعة. ولكي نتفحص مستوى ما تحت الأرض، الذي تم التحقق منه بفضل دراسة الجامعة في المنطقة D فقد تم استخدام جهاز (بنهامس JCB Banhama)، الذي أعارنا إياه الجيش السوري ولذا نتقدم بالشكر للكرم والدعم المقدم من العماد أول مصطفى طلاس وزير الدفاع. فقد استخدمنا الجهاز لتوضيح وفهم آخر المستويات المرصوفة المدفوع إلى الأسفل بفعل عمل الجيش الفرنسي. ووصل التنقيب إلى عمق مترين، وكشف عن بنية كثيفة من الإسمنت حيث شغلت منطقة واسعة في مركز التل إلى جهة خزان الماء المبني من قبل الفرنسيين. وأفترض أن أساس هذا

البناء الإسمنتي يمتد إلى الأسفل ولربما حتى القاع الصخري إن وجود هذا البناء. وخزان المياه الفرنسي إلى الشمال وكذلك منشأة التلفزيون الهوائية وغيرها من الأبنية يعني أن جزءاً كبيراً من مركز التل قد ضاع بالنسبة للدراسة الأثرية.

٤- القطاع E :

لقد اختير القطاع E للتنقيب بالتعاون مع جامعة البعث. وتم الكشف عن مستوى سكن على عمق ١,٥٠م، تحت مستوى الأرضية القائمة حيث كشف عن مستوى نباتي متفحم وكذلك الدبش، وكان هذا بفضل آلة قطع من الجيش السوري. وتم العثور على بقايا جدار على عمق ٢,٣٠م، من مستوى الأرض.

٥- القطاع F :

كانت المنطقة F عبارة عن كوى أو ما يشبه غرف من جهة الغرب من برج باب الهوى وهي تصطف باتجاه الشمال عن محيط التل وقد تم تنظيفها جميعاً. واعتبر بناؤها من العصر الوسيط وتتشابه الكوى من حيث الشكل والتوضع للغرفة رقم ١، في القطاع C. وقد أعيد استخدامها من قبل الجيش الفرنسي ثم السوري كمراحيض. وهذا ما سبب إغلاق باب الطريق التي تصل السور -من جهة الشرق والغرب- بتلك الحجرات، وتم تركيب أبواب جديدة وفتح طرق إلى جهة الجنوب، وتم إضافة طبقة إسمنتية ومستوى تصريف في هذا الدور المتأخر. ولم نحاول اختراق هذه الطبقات الإسمنتية كي نصل إلى الطبقات الأقدم لأن التحصينات المجاورة في الشمال والشمال الشرقي للقلعة غير آمنة في الوقت الحالي ولا تسمح لآلات الحفر بالعمل قربها.

٦- القطاع G :

إنه لمن الصعب التنقيب في أي مكان قرب باب الهوى بسبب عدم استقرار البناء، وبسبب الأبنية الحالية التي أقامها الفرنسيون أو التي ضمت إلى التلفزيون. وقد حدد لنا هذا الوضع منطقة للتنقيب، وتمكننا ضمن هذا الوضع من فتح خندق في المنطقة (i) إلى الغرب من باب

الهوى حيث يعمل موظفون في محطة التلفزيون في القلعة والذين ذكروا وجود نفق أو ممر ومدخل عثر عليه في أثناء عملية البناء عام ١٩٧٠.

وبعد كشف المنطقة G المملوءة، نأتي على ردميات على عمق ١,٥٠م، وتوقفنا عند هذا الحد بعد أن قررنا بأنه غير آمن لنا الاستمرار أعمق من ذلك وعندما يمكن التوصل إلى تدعيم وتمتين باب الهوى، يمكن الشروع بدراسة مهمة عن القلعة، ويمكن دراسة في التصميم الداخلي لباب الهوى وممره الداخلي في المنطقة G.

الحفائر السورية- البريطانية عام ١٩٩٩:

وقد كان الهدف من العمل خلال هذا الموسم القصير أولاً توسيع التنقيب لتحديد غرف القلعة جنوباً في المنطقة C إلى الغرب ١، ثانياً تفحص الطبقات الأثرية وعلاقة البرج رقم ٢ في الشمال مع المزلقان، والجدار أو السور المستور والحجر التي تحولت إلى مراحيض في جهة الشمال في المنطقة F و J. كما تفحصنا الطبقات الأثرية المنقبة السفلى في جهة الجنوب الشرقي من التل.

١- القطاع C:

شرعنا بالبحث في هذا القطاع C عن آثار جدران الغرف التي تمتد داخل الخط الجنوبي للسور الدائري متابعين العمل انطلاقاً من الغرفة رقم ١، حيث عملنا في عام ١٩٩٧. وكانت الغرف رقم ٢ و ٣ و ٤ الافتراضية قد حددت، بالكشف عن أعالي السور بعمق ٢٠ سم، (شكل ٩) ونظراً لمحدودية التمويل المتيسر. فقد كان من المتعذر الإقدام على مزيد من العمل في هذه المنطقة خلال موسم ١٩٩٩، وقمنا بالمزيد خلال موسم عام ٢٠٠٠، وهو زمن كتابة التقرير. فقد تم التعرف على جدران من الحجر القاسي الغرف ١ و ٢ و ٣. وقد ثبت البناء ببلاط إسمنتية يشبه الجص وكان عرض الجدار هنا ١,٥م، هذا ويشير إلى وجود بناء أساسي. وتابعتنا التنقيب في الغرفة رقم ١ خلال سطح المستوى الأرضي، التي وصلنا إليها عام ١٩٩٧، في النصف الغربي من الخندق وكشفنا عن سطح مستوى من الحصى. وقد ربطت

اللقى ذهنياً مع سطح الأرضية المختوم وهو فخار من إنتاج تل مینیس، ورغم أن هذا الفخار من البقايا، إلا أنه مهم ويدل على نشاط الموقع في القرن الحادي عشر الميلادي.

٢- القطاع F و J:

كان غرضنا من العمل في الجانب الشمالي من القلعة في القطاعين F - J هو استغلال الغرفة المنظمة التي دعمتها مصلحة الآثار عام ١٩٩٨، وقد أملنا في نهاية المطاف إيجاد العلاقة الطبقيّة الأثرية بين مختلف الغرف والأبراج في الجانب من التل (شكل ٧)، لقد عدت الأبراج القائمة من العصر الأيوبي على ضوء النقش الكتابي المؤرخ والمفقود من البرج الثاني باسم شيركوه الثاني. وأخيراً يمكن للتحليل الأثري الطبقي أن يسمح لنا بفهم العلاقة بين الغرف الباقية، والأبراج والمزلقان. وعلى الرغم من أن الغرف في القطاع F قد نظفت وصقلت وسلّحت بالإسمنت كما ذكرنا عام ١٩٩٧. فقد بدأ أمل لنا عند بدء التنقيب أنه يمكن العثور على غرف غير فخريّة مجاورة للبرج الثاني في القطاع J. من ناحية ثانية فإن خندقاً حربيّاً سورياً يمتد على المحيط الشرقي للتل بين أعلى المزلقان والواجهة الشماليّة من السور المستور قد قدم الحل الوسط لاحتمال تثبيت العلاقة الأثرية الطبقيّة بين السور والمزلقان في كثير من الأمكنة وقد كان للخندق الحربي الأثر في الكشف عن الوجه الخارجي للسور المستور (الشكل ٧)، وهنا كان علينا جميعاً القيام بتنظيف واجهة السور. وكان المزلقان المركب قد تحرك على طول الواجهة الشماليّة للسور المستور في المنطقة F.

وكانت التربة في القطاع F، قد تحركت من الوجه الجنوبي من أعلى السور المستور للقلعة هذا ما كشف عن أعلى بعض أجزاء السور، ولكنها لم تنب فيما بعد بسبب قصر مدة موسم التنقيب. إن علاقة سطح المزلقان ووضعها بالنسبة للسور المستور والسور الدائري المشار إليه، تبقى مشكلة بتأثير الخندق الحربي السوري. ويمكن أن نقول: إن كل هذا بدون تعيين في هذه المرحلة حيث إن المزلقان وحشوته المؤرخة فيما بعد بناء الجدار المستور شمالاً كما أن وضعه قبالة الوجه الشمالي للجدار لا معنى له بالتعبير الزمني التاريخي.

٣- الطبقات الأثرية الأعمق:

لقد حصلنا على رؤية أثرية طبقية بفضل المساحات المكشوفة من المزلقان من جبهتي الشمال الغربي والجنوب الشرقي، والتي سقطت بعيداً وتمكنا من تتبع هذه الطبقات حتى الأرض العذراء الحمراء فوق المستوى الصخري. ويعدّ هذا مهماً لأن القيود المفروضة على العمل الأثري في قمة التل بسبب وجود الأبنية الحديثة، لن تسمح بإجراء تنقيبات من الأعلى حتى الأسفل. إن اللقى الأثرية من الأركان المكشوف في الشمال الغربي والجنوب الشرقي ذات أهمية كبيرة من أجل تقويم السكن المبكر للتل من ناحية ثانية، إن فحص الأركان المكشوفة في الشمال الغربي من التل، هو أمر خطير وقد سجلناها في عام ١٩٩٧، وكذلك الفخار السطحي إلا أن اعتبارات السلامة لفريق العمل وبيوت المقيمين في الأسفل تعوق أي عمل في هذا المكان في المستقبل.

كما أن الأركان المكشوفة في الجنوب الشرقي هي الأخرى غير مستقرة وخطرة إلا أنه لا توجد بيوت في الأسفل وترينا الأركان المكشوفة المستويات الأثرية ابتداء من السرير الصخري في قاعدة التل صعوداً حتى مستويات العصر الإسلامي الوسيط، التي تعود إليها الأبراج وأسوار التحصينات. وقد أدرجنا من الصور والتوثيق المفصل في الركن المكشوف من الجنوب الشرقي في عام ١٩٩٩. إن المستويات الباكرا (أي الأخفض تركز فوق السوير الصخري والأرض العذراء)، قد قدمت موقعين من الفخار المكسر (EB4). وقد تم العثور على ذلك من خلال العلاقة مع الجدار الحجري الباكر. ويعادل هذا الجدار الحجري المحشي المكشوف في الجنوب الشرقي، من حيث المواصفات جداراً حجرياً محشواً مرثياً في المستوى الأسفل من الركن المكشوف في الشمال الغربي قرب مصطبة المدخل.

اللقى الأثرية:

نورد فيما يأتي موجزاً عن اللقى الأثرية المهمة منذ موسم عام ١٩٩٧-١٩٩٩. إن جميع اللقى الأثرية قد أخرجت من مكامن دفعت إلى الأسفل على عمق ١-٢ متر من قبل الجيش الفرنسي في فترة الانتداب مع بعض الاستثناءات الخاصة. وكان أهمها ما عثر عليه في الركن الجنوبي الشرقي لأنها من مستوى أثري أدنى في قاعدة التل كما نوهنا سابقاً، وهي

آيتان فخاريتان محطمتان وقطع أخرى من الدور نفسه أي عصر البروز الباكر الرابع (EB4)، أي حوالي ٢٥٠٠-٣٠٠٠ ق.م. وعثر في الجهة الشرقية على كسر فخارية في مركب مختلط في القطاع F و J وتمثل أعمال الدور الروماني في تل القلعة. كما أن الأعمدة الغرانييتية بلون القرنفل التي وُجد منها عدد من الأمثلة في التل هي رومانية الأصل. ويتمثل الدور الروماني أو البيزنطي بمكعبات فسيفسائية عثر عليها في القطاع A و J ومنعقدة بمكعبات الفسيفساء الأبيض المثبت بالجص، كما توحى أرضية فسيفسائية ضائعة. كما عثرنا على زجاج أخضر فريد ومكعب فسيفسائي مزجج أزرق فريد وكسرة مصباح زيتي مع صليب مسيحي في أحد البروزات في القطاع J، وفي حين أن هذه اللقى قد أخرجت من مركب في القطاع لوالذي حوله الجيش الفرنسي إلى ردميات، فإن تركّز اللقى المهمة هنا يؤكد وجود أنشطة رومانية وبيزنطية فوق التل.

من الواضح أن المكعبات الفسيفسائية قد تكون من العصر الروماني وبداية العصر الإسلامي ولكن العثور عليها كان في الواقع مرتبطاً مع مصباح الزيت الصليب المسيحي ولقى رومانية تدفعنا إلى تأريخ في الدور البيزنطي، من ناحية ثانية ويجب أن نتعرف على طبيعة وتركيب الممكن الأثري.

إن اكتشاف ياقوتة حمراء براقة وحيدة مستوردة من العراق أمر مهم للغاية كما أن اللقى السطحية هي أول دليل إلى أنشطة إسلامية في التل في القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي، وهو برهان أثري على دور صممت فيه المصادر الأدبية العربية بصورة محبطة عن ذكر قلعة حمص. إن فخاريات "تل مندس" قد عثر عليها ببعض الكميات في الغرفة ١، في القطاع C وهي تدل على تأريخ ممكن في القرن الثاني عشر (-175 POTER, WATSON, 220, TONGHINI, 1998, PASSINE). وهناك لقى أخرى من العصر الإسلامي تشمل أوان من مواد زجاجية مزينة وملساء من نمط الرقة، وتعود للقرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وتعزى في سورية والأردن إلى العصر الأيوبي والمملوكي. وعثر على بعض كميات فخارية مزججة مملوكية وشملت الموجودات داخل الغرفة ١ في الركن الردي شذر فخار أبيض مقولبة ومبرزة ويحتمل أنها تعود للقرن الثالث عشر. وتم تركيب شذر شبه كاملة لدورق أو قارورة حج ذات مسكتين وزينة مقبولة ورسوم أسد (شكل ١٠). واعتبر أنه يعود

إلى منتصف القرن الثالث عشر. وهناك قطعة مشابهة قوالب عليها شكل ببغاء (شكل ١١) وكانت موجودات القطاع G قطعاً من أنية زجاجية زرقاء مزينة مذهبة، ذات مواصفات عالية: ولعلها من العصر الأيوبي وباكراً المملوكي (شكل ١٢). إن اكتشاف قطعة من قنبلة يعكس مهمة الموقع العسكرية، ويضاف إلى ذلك اكتشاف ذخيرة منجنيق وهي حجارة صغيرة مكورة عثر عليها مستودع في القطاع C في عام ١٩٩٧، خارج الغرفة ١ تماماً (شكل ١٣).

الخلاصة:

إن الهدف من هذه الدراسة المبدئية من بحثنا عن حمص هو يهدف إلى تقديم ملاحظاتنا الأولية المبنية على التنقيب. إن جميع الفخاريات الموجودة أخرجت من أركان حجرية، أعيد تكويمها من قبل الجيش الفرنسي ومن تلاحه ونظراً لدرجة التآكل وكمية الأكوام المردومة في هذه المرحلة، فيبدو لنا أنه من المبكر القيام بنشر اللقى الأثرية. وفي المواسم المقبلة عندما سننقب التركيب الطبقي الأثري، الذي وصلنا إلى نهايته في الموسم ١٩٩٩، يمكن عندها تقديم توثيق فخار أكثر انسجاماً، كما أن الموجودات الأخرى يمكن أن تكون ذات فائدة، عند مقارنتها بمواد من مواقع تحصينية أخرى في المنطقة، بما في ذلك قلعة حماة وقلعة حلب وقلعة جعبر على الفرات.

وكما لاحظنا فإن واقع تحصينات حمص هي في حالة أكثر سوءاً من تلك في حلب وشيزر وجعبر أو أية تحصينات إسلامية معاصرة في مواقع أخرى من ناحية ثانية، هناك مزيد من البقايا الأثرية في تحصينات قلعة حمص، وأكثر مما لقيناه في حماة التي فقدت أبراج وأسوار العصر الإسلامي الوسيط، وهناك ما يكفي من البقايا في قلعة حمص ليدل على الأصول الأيوبية والمملوكية للتحصينات التي يمكن مقارنتها مع نظيراتها في حلب، على الرغم من كون ذلك على درجة مقارنة ضئيلة. إن مزلقان قلعة حمص، خاصة، محفوظ جيداً ويمكن مقارنته مع نظيره في قلعة حلب وقليلاً مع نظيره في قلعة شيزر وقلعة الرحبة على الفرات شرق سورية. ويوجد ما يكفي من بقايا القلعة التي تفرض أن رسم فوليني في القرن الثامن عشر كان دقيقاً على الرغم من بعض الاختلاط بسبب مستوى الإجازة الفنية. إن رسومه

ودراستا تشيران إلى أن دفعات قلعة حمص قد قاومت السلب والنهب منذ منتصف القرن التاسع عشر وما بعده، ولعلها كانت من بين أهم الحصون الإسلامية الشهيرة في سورية.

إنَّ التحصينات الباقية في حمص تطرح عدداً من المسائل التاريخية، التي يمكن حلها بفضل التنقيبات. وبينما يمكن تقدير مكان وجود الكتابات الأيوبية والمملوكية المفقودة الآن، والتي عثر عليها ونشرها من سبقونا من العلماء، فإن الواقع يبقى هو أن هذه الكتابات بقيت إلى وقت قريب في المكان وهذه هي الخسارة الكبرى، وإذا كنا نستطيع تأريخ السور بنقّة مقبولة من خلال البقايا، إلا أن العقبة تتمثل بالمزلقان، الذي يدو أنه يغطي السور الدائري الأقدم، الذي نعتبره إسلامياً من العصر الوسيط، ويبدو أن عمليات التحصين النهائية قد أضافت المزلقان، ولكن يبقى من غير الواضح إذا كانت أيوبية أو مملوكية، يضاف إلى ذلك، أن التنقيبات المحدودة التي أجريت في القطاع C، قد بينت تبدلات أساسية في وجهة القوس في الغرفة ١. ولا يوجد في الأفق تأريخ لهذا العمل، ولهذا نتوجه في هذه المرحلة إلى ربط ذلك مع تبدلات البنية التي يمكن ملاحظتها في هذه الغرفة في المحيط الجنوبي مع الكتابات الأيوبية والمملوكية المؤرخة في جهة الشمال من قلعة التل. ومن أجل إيضاح هذه المسائل، فإن القطاعات الشمالية والجنوبية المحفوظة جيداً تتطلب المزيد من البحث والتنقيب العلمي الأثري.

شكر واعتراف بالجميل لفريق العمل:

أسست البعثة الأثرية البريطانية العاملة في حمص في (SOAS)، قسم الفن وعلم الآثار في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن. وقامت مستشارية البحوث البريطانية في المشرق (CBRL) برعاية البعثة البريطانية كما جاءها الدعم الكريم من مصادر أخرى، تشمل SOAS؛ والسفارة البريطانية في دمشق، والمستشارية البريطانية في دمشق؛ وشركة الطيران المتوسطة البريطانية؛ والمعهد البريطاني في عمان (CBEL)، ومجموعة أعمدة الحكمة السبعة، وقدم السيدان حيان أتاسي ومعمرباشي ومتبرعون سوريون وبريطانيون آخرون مساعدات كريمة. ولقينا من الجانب السوري مقداراً كبيراً من التعاون والدعم من جانب الدكتور نجاح العطار، وزيرة الثقافة السابقة، والدكتور سلطان محيسن ومدير متحف حمص فريد جبور وتويع هذا العمل والتعاون تحت إدارة الدكتور عبد الرزاق معاذ، وقدم لنا سيادة العماد أول مصطفى طلاس وزير الدفاع بكرمه طائرة مروحية للتصوير الجوي وآلة حفر JCB، وثلاثين جندياً للمساعدة في التنقيب لموسم عام ١٩٩٧. وقدم السيد حيان أتاسي مجموعة عمال من مؤسسته جندر عام ١٩٩٧. وقدم لنا أدريان بندل وبنزيل أستود السفيران السابقان في سورية، النصح والمساعدة عند بدء المشروع. وقدم السيد كلارك بيطار المستشار الثقافي دعماً كبيراً شخصياً ومساعداً في إقامة مشروع حمص. كما مولت المستشارية الثقافية البريطانية بدمشق الدراسة الاستطلاعية في الرستن عام ١٩٩٧. وتابع الدعم السيد دافيد بلدوين بعد السيد كلارك بيطار. ونشكر كذلك السيدة هديل الأحمد والسيد معتز من المستشارية في دمشق. كما نشكر دعم ممثل المجموعة الأوروبية السيد آلان ودام لمشروع حمص.

وقد أدار فريق التنقيب -المؤلف من الجانب البريطاني وفريد جبور من الجانب السوري منذ عام ١٩٩٥. وقد كتب السيد بيتر هولدن (Acanthus. Pembroke) تقريراً عن "الشروط والعلاج" وأخذ السيد مارك جونسون (Landmark Surveys) على عاتقه وضع خرائط القلعة. وانضم إلى فريق العمل د. س. تونجهيني من جامعة فنيس (البندقية) من COAS سابقاً. ود. ج. الدرز، مستشار أثري، الكنيسة الإنكليزية؛ والسيد س. جرفي، والسيد ج. تشاستكا، والسيد د.

५५

المراجع

Abdulkarim, M. (1999) Télédiction et archéologie sur la formation de La cité d'Emese à l'époque romaine (Syrie Centrale). *Photo-interprétation*, 14-23.

58 LEVANT 34 200)

Ammianus Marcellinus (2000 edition; c. 390-1) *History*. Translation J. C. Rolfe. Loeb Classical Library: Cambridge, Massachusetts and London.

Appian (1999 edition; c. AD 125) *Roman History*. Translation H. White. Loeb Classical Library: Cambridge, Massachusetts and London.

Ball, W. (2000), *Rome in the East. The transformation of an empire*. Routledge: London and New York.

Berchem, M. van in F. von Oppenheim (1909) *Wchriften aus Syrien in Betirage zur Assyriologie*. VII /I, 4-13.

Berchem, M. van and Fatio, E. (1914) *l'ogage en Syrie*. Institut francais d'archéologie orientale du Caire: Cairo

Bounni, A. (1970) Les catacombes d'Emèse (Homs) en Syrie. *Archéologia* 37. 42 - 49.
BelQn de Mons, P. (1588) *Les Observations de plusieurs singularités et choses*

Mémorables, trouvées en Grèce, Asie, Iudée, Egypte, Arabie et autres pays étrangers de Marnef and Cavellat: Paris.

Cheveddin, P.E. (1986), *The Citadel of Damascus unpublished* PhD Thesis. UCLA. University Microfilms International (unseen).

Conder, C.R. (1883) *Heth and Moab. Explorations in Syria in 1881 and 1882*. Richard Bntley: London.

Creswell, K.A.C. (1932-40) *Early Muslim Architecture*. Clarendon Press: Oxford.

- (1952) *The Muslim Architecture of Egypt*. Clarendon Press Oxford.

- (1952) Fortification in Islam before A.D. 1250. *Proceedings of the British Academy* 38, 89-125.

al-Ibhiyat, M. (1995) *Horns et Hama en Syrie Centrale. Concurrence Urbaine et développement régional*. I. Institut francais d'études arabes de Damas: Damascus.
Dussaud, R. (1927) *Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale*. P. Geuthner: Paris.

Elisséeff N. (1967) *Nûe Al-Din grand prince musulman de Syrie au temps des croisades*

(5 11-569 H 1118-1174..). Institut français de Damas: Damascus.

- (1971) Hims. *Encyclopaedia of Islam*. (Ed² new ed) Brill: Leyden.

Fedden, R. (1950) *Crusader Castles*. Murray: London. Ha'iq, M. (1994) *Qaf'a Homs*. Dar Tlass: Homs.

Herzfeld, E. (1943) Damascus: Studies in Architecture II. *Ars Islamica* X. 66-70.

Holden, P. (1996) *The Citadel at Homs: Conservation Report*. Unpublished report for the Directorate-General of Antiquities of Syria, archived at the Homs Museum. Ibn Battūta (1958 edition) *The Travels of Ibn Battuta*. Translation H.A.R. Gibbs. Hakluyt Society and Munshiram Manoharlal Publishers Pvt. Ltd: New Delhi. Ibn Hawqal (1938 edition) *Opus Geographicum auctore Ibn Hawqal. Kitab sirat al-And*. J.H. Kramers (ed.). Brill: Leyden.

Ibn Jubayr (1952). *Travels*, translated from the Arabic into English by R.J.C. Broadhurst. Jonathan Cape. London.

al-Istakhri (1967 edition) *Viae regnorum descriptio ditionis moslernicae auctore Aba Ishak al-Istakh* *Bibliotheca Geographorum Arabicorum* I.M.J. de Goeje (ed.). 3rd edition. Brill Leiden.

Kennedy, H. (1994) *Crusader Castles*. CUP: Cambridge.

King, G.R.D., Dunlop, D., Graf, S. and Tonghini, C. (1995) *A Report on the tellat ('-Horns, Syria*. Unpublished report for the Directorate-General of Antiquities of Syria, archived at the Homs Museum.

Kremer, A. von (1853). *Mittelsyrien und Damascus* Mechitharisten: Vienna. Laborde, L. de (1838) *Travels in Arabia*. 2 vols. John Murray: London. Lawrence, T.E. (1936) *Crusader Castles*. Golden Cockerel Press: London. Le Strange, G. (1965) *Palestine under the Moslems*. Khayat: Beirut. Macazz, Najib (1995) *Qafa Homs*. Unpublished report, archived at the Homs Museum.

al-Maqdisi (1967 edition) *Kitab Ahsan al-Ta'qisi Tagdsim F. Ma'rifatal A QALIM*. M.J. de Goeje (ed.) Brikk: Leyden.

al-Maqrizi (n.d) *Khitat*. Buluq edition.

al-Musalli, M. (1975) *Sabr ti qafa Homs (Tall Homs)*. Unpublished report, archived at the Homs Museum.

Oppenheim, M. von (1913) *Inschriften aus Syrien, Mesopotamien und Kleinasien*. J.C. Hinrichs'sche Buchhandlung. The Johns Hopkins Press: Leipzig and Baltimore. Pentz, P. (1997). *Hama. Fouilles et Recherche.s' de La Fondation Carlsberg 1931-1938*. IV: 1-Text. *The Medieval Citadel and its Architecture*. Nationalmuseum: Copenhagen. Riis, P.J. and Poulsen, V. (1957) *Hama. Fouilles et Recherche.s' de La Fondation Carlsberg 1931-1938*. Fondation Carlsberg: Copenhagen.

Ritter, Carl (1855) *Die Endkunde im Verb. Imis zus Natur und zur Geschichte des Menschen*. Reimer: Berlin.

Sauvaget, J. (1929) La chapelle byzantine de Bâh Sbâ' à Horns. *Mélanges' de l'Université Saint-Joseph* XIV. fasc. 1, 3-20.

H. Seyrig (1952) Antiquités Syriennes 53 cont. Antiquités de la necropole d'Emèse. *Syria* XXIX. 204-250.

- (1959) Antiquités Syriennes 76. Caractere de l'histoire d'Emese. *Syria* XXXVI. 184-192.

- (1971) Antiquités Syriennes 95. Le culte du soleil en Syrie a l'époque romaine. *Syria* 48. 337-373.

C. Tonghini (1998) *Qal 'at Ja 'bar*. British Academy Monographs. OUP: London.

al- Ush. Abûl-Faraj (1963) Les bois de l'ancien Mausolée de Khâlid ibn al-Walid à Himts. *Ars Orientalis* V. 111-139.

- (1969) *Akhshab Min turbat Khdlid ibn al-Walid al-qadimct bi Hims. Les Annales ArchCologique arabes syniennes* XIX. 15-47.

Volney, C.F. (1959 edition) *l'oyage en Egypte et en Syrie*. Edition Gaulmier: The Hague.

Watson, O. and Porter, V. (1987) 'Tell Minis' Wares. PP. 175-220 in J. Allan and C.

Roberts (eds) *Syria and Iran. Three Studies in Medieval Ceramics. Oxford Studied in Islamic Art*. OUP: Oxford.

Wiet, G. (1941) *Repertoire chronologique d'épigraphie arabe*. L'Institut francais d'archeologie orientale: Cairo.

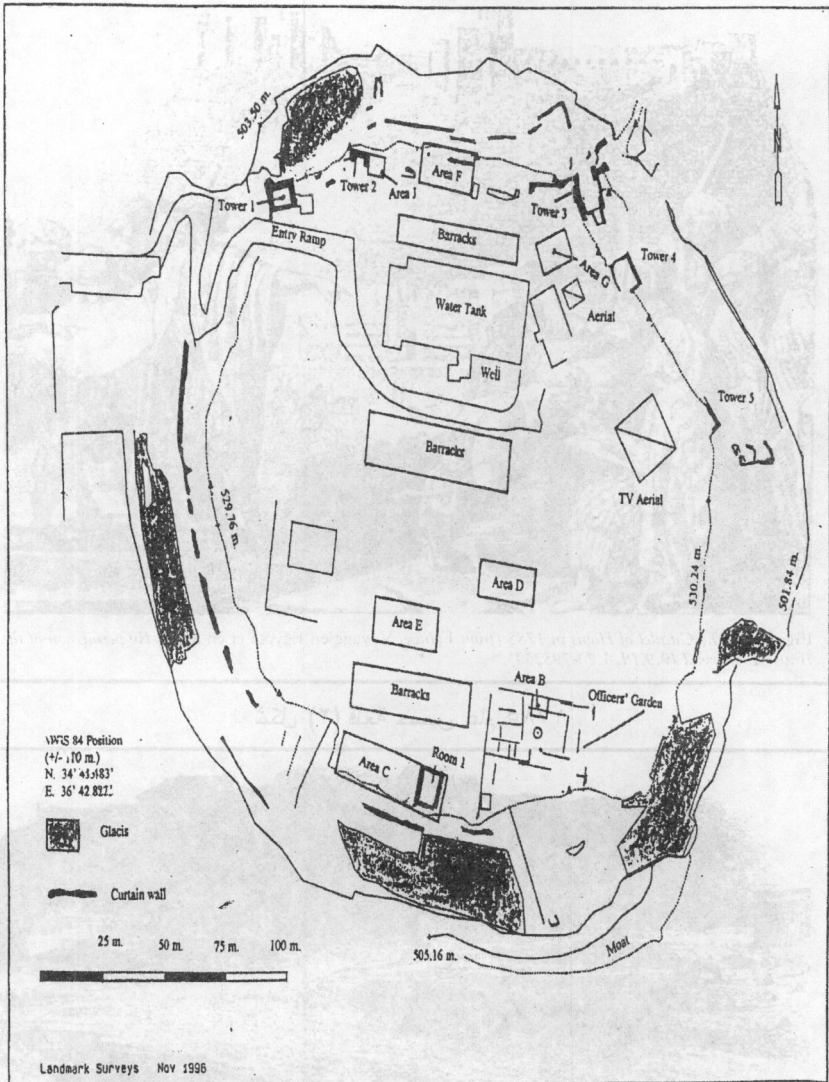
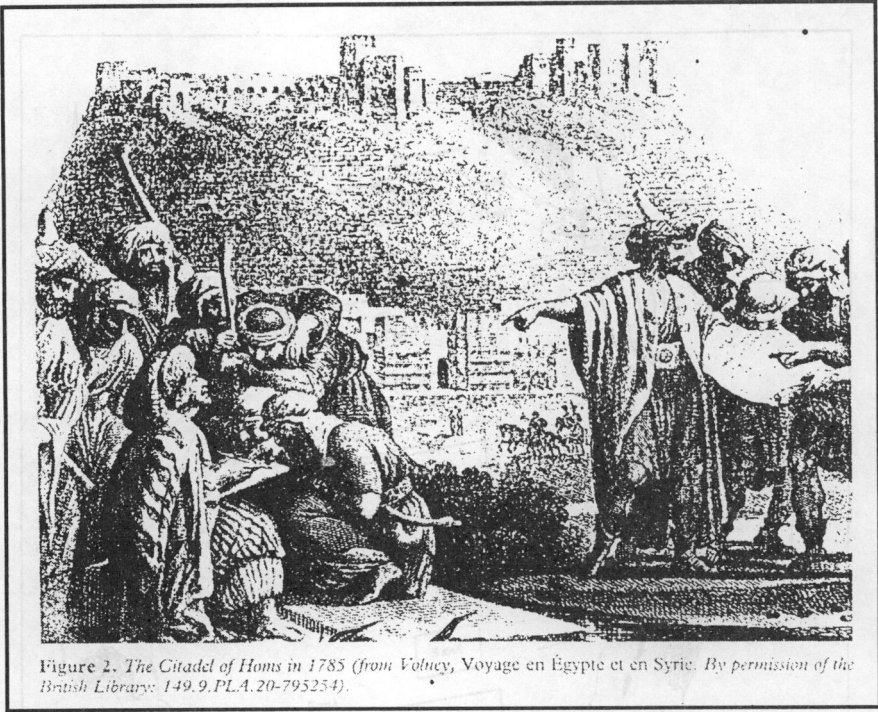
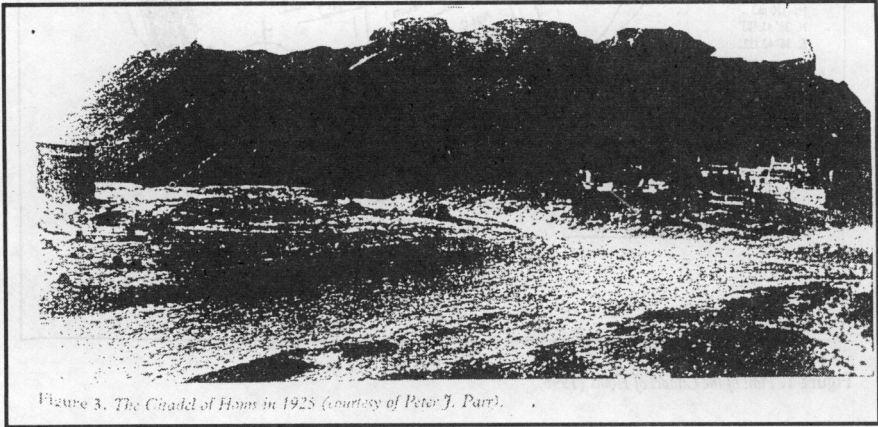


Figure 1. Plan of the Citadel of Homs (1996).

شكل (١) مخطط قلعة حمص (١٩٩٦)



شكل (٢) قلعة حمص عام ١٧٨٥



شكل (٣) قلعة حمص عام ١٩٢٥

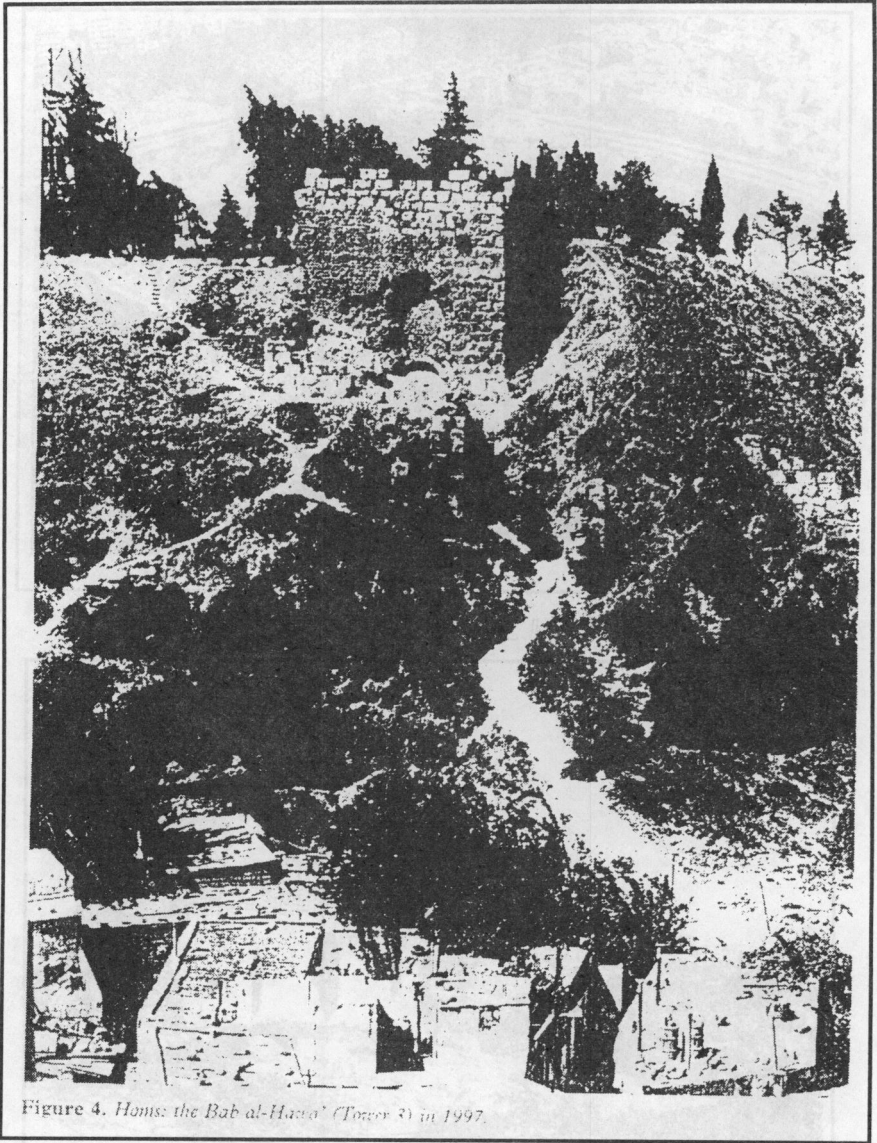


Figure 4. Homs: the Bab al-Hawa' (Tower 2) in 1997.

شكل (٤) حصص باب الهوى - برج ٣ عام ١٩٩٧

دراسة تاريخية في مدينة حمص

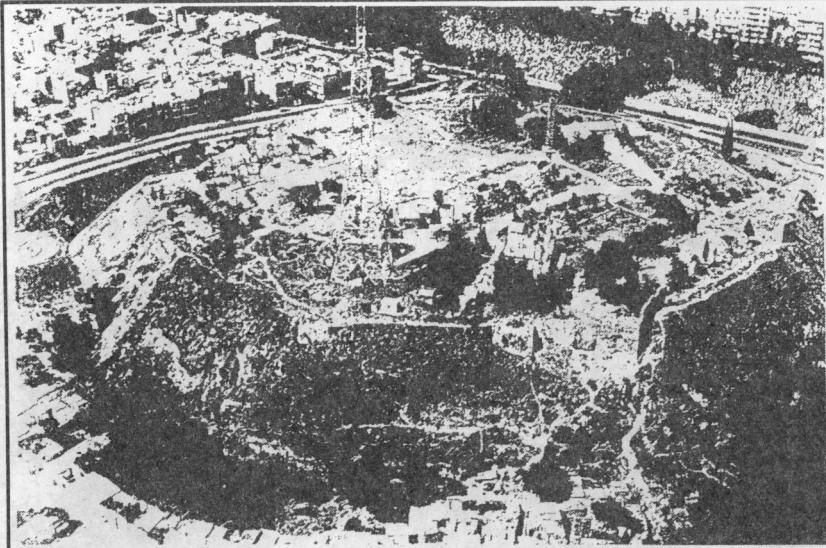


Figure 5. The Citadel of Hama from the air.

شكل (٥) قلعة حمص من الجو

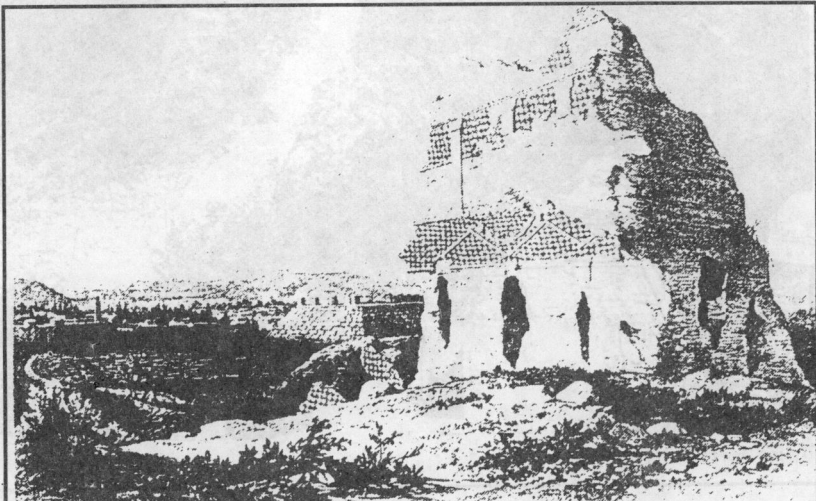


Figure 6. Tomb of Samsigeramus (from Labadie, by permission of the British Library; Tpl. 317b PLV, verso, 9578124).

شكل (٦) ضريح سمسجير اموس

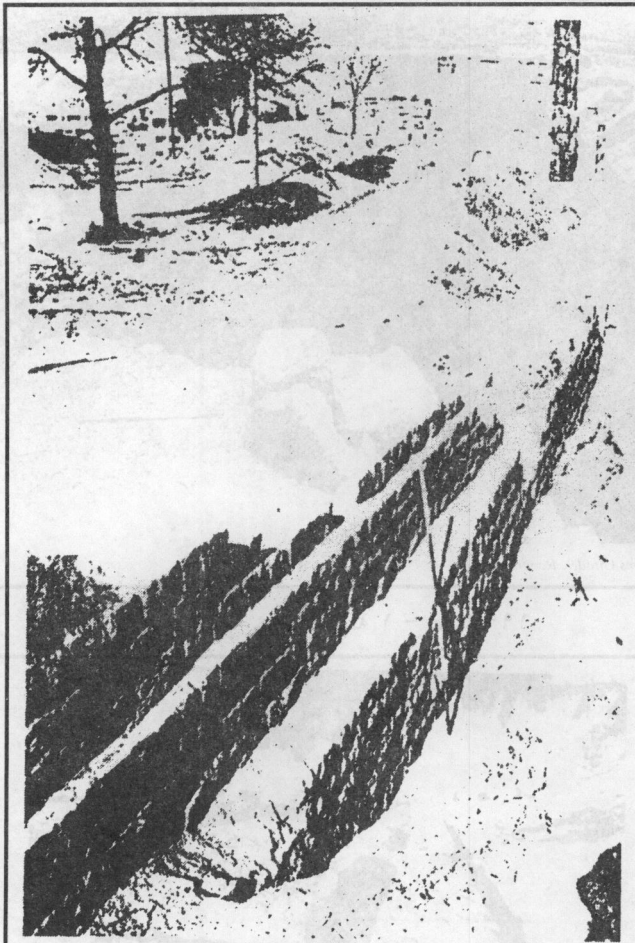


Figure 7. Homs Citadel: the excavations in Area F and J (1999) looking west to Tower 2, with the outer wall exposed by a Syrian military trench.

شكل (٧) الحفائر عام ١٩٩٩- البرج ٢- جدار مكشوف

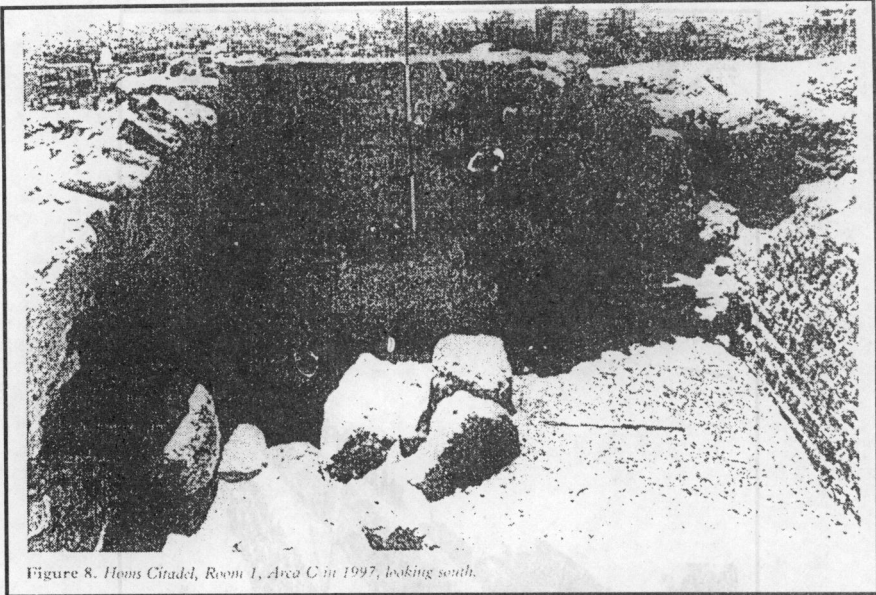


Figure 8. Homs Citadel, Room 1, Arco C in 1997, looking south.

شكل (٨) قلعة حمص غرفة ١ - عام ١٩٩٧

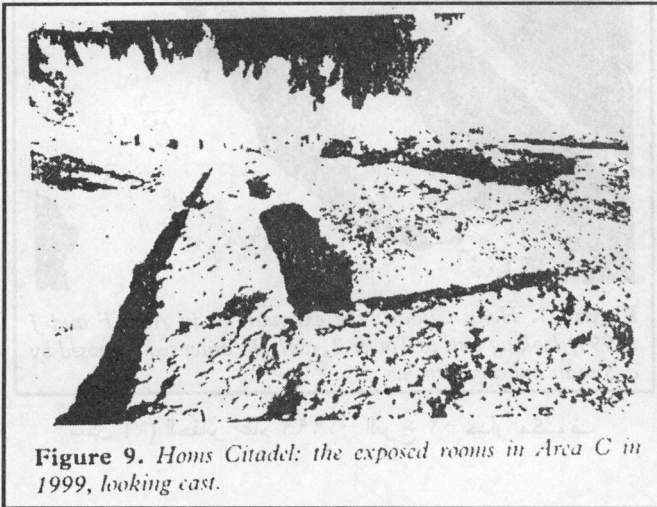


Figure 9. Homs Citadel: the exposed rooms in Arco C in 1999, looking east.

شكل (٩) قلعة حمص: غرف في المنطقة المنقبة عام ١٩٩٩

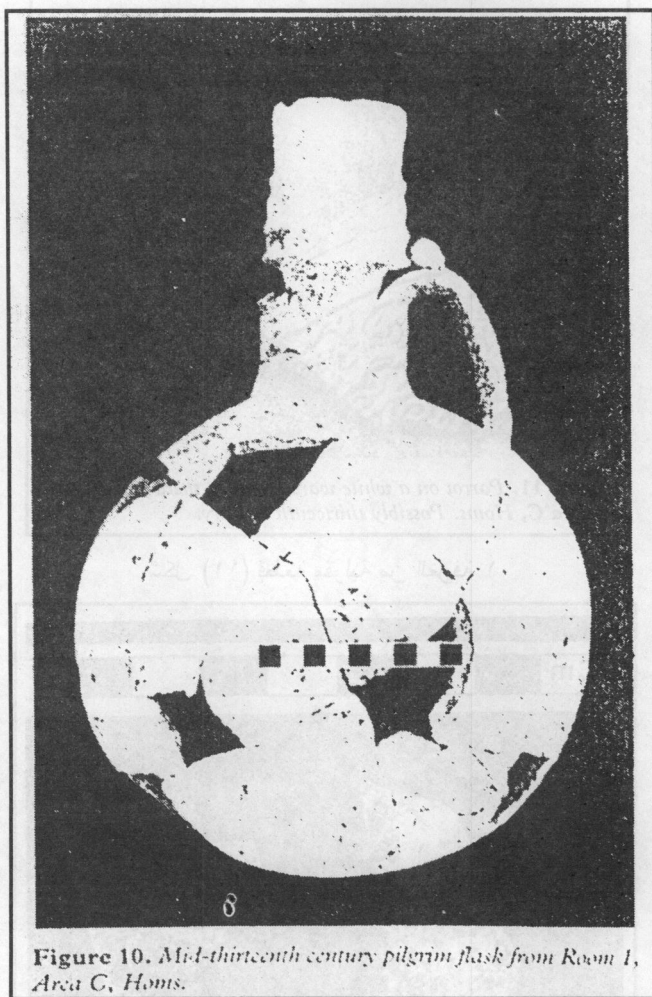


Figure 10. Mid-thirteenth century pilgrim flask from Room 1, Area C, Homs.

شكّل (١٠) قارورة من القرن ١٣ (منتصفه)

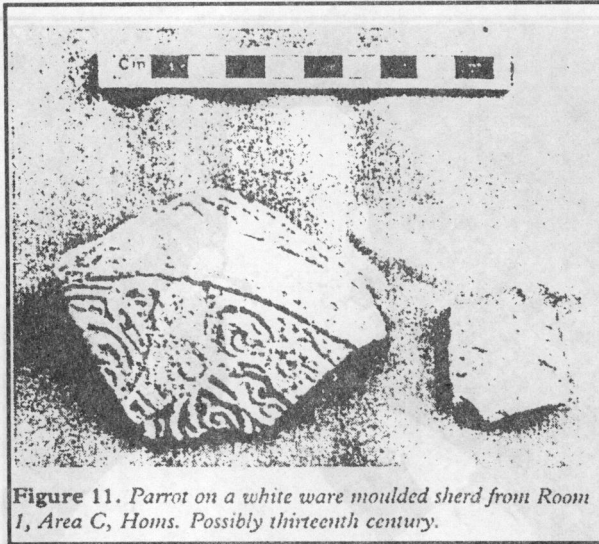


Figure 11. Parrot on a white ware moulded sherd from Room 1, Area C, Homs. Possibly thirteenth century.

شكل (١١) قطعة مقولبة من الغرفة ١

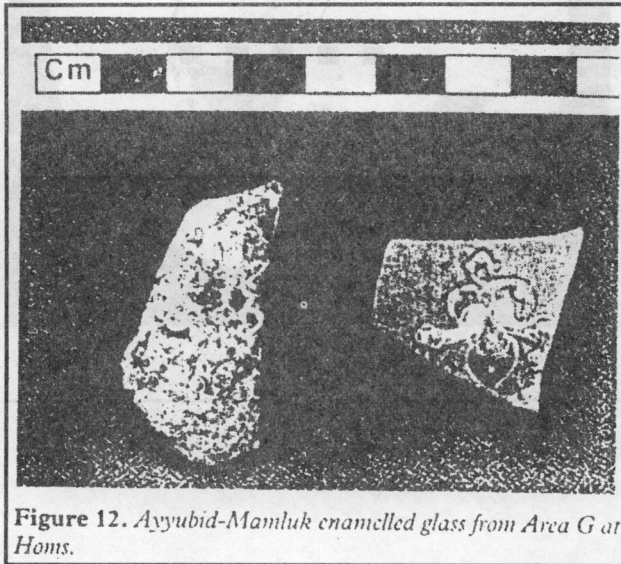


Figure 12. Ayyubid-Mamluk enamelled glass from Area G at Homs.

شكل (١٢) زجاجيات مكسرة من العصر الأيوبي والمملوكي



Figure 13. *Stacked catapault ammunition from Area C at Homs.*

شكل (١٣) ركام من المنطقة ٢

Globalization paradox of concept — Beginnings — Aspects

Dr. Hassan Abu hamoud

Abstract

The study comes under “ Globalization “ as a term which is still characterized by some mystery and vagueness despite the fact its beginnings are not comparatively new, on one hand, and there is an embodiment of its political, economic and social aspects in the centers and sides of the world powers, on the other.

The aim of our study is to have some results through our objective understanding of the elements of study by reviewing various views and opinions which dealt with the phenomenon of globalization with the aim of predicting the future of globalization and focused westerner trends and its consequences on both developed and developing countries.

Therefor, we make analysis and review of some substantial realities and facts brought by these trends in all fields in 1990s, as they represented the structural introductions and main bases (grounds) to create a new real human era characterized by big discrepancies which suggest the next world threats if such false western projects last and continue with the same philosophy and device which will be discussed in the study.